العدد التاسع

السنة الثانية

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

الاشتراكات
قرش
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف اليها أجرة
البريد خارج القطر

ذو القعدة سنة ١٣٧٢ — يوليه سنة ١٩٥٣

العلوم والسنن الالهية

يبدو للإنسان فى نظرته الارتجالية البدائية أن صور الحياة التى يضطرب فيها الناس لا يؤلفها نظام ولا تجمعها قاعدة . ثم تختلف هـذه النظرة البدائية بحسب العقيدة : فأما الذين يؤمنون بوجود الإله العظيم فيبدو لهم أن الله سبحانه يصنع بيده الأزلية كل مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية ، وكل حدث من أحداثها مباشرة بدون أن يكون للناس أو للنواميس أى دخل فيها أو تأثير ، ويخيل إليهم أنه يخلقها خلقاً موزعاً مبعثراً ، لا يقوم على قاعدة . وهؤلاء — وإن كانوا يؤمنون بالله — فإنهم لا يؤمنون بحكمته ولا بعدالته ولا نظامه ، بل إنهم لا يؤمنون بأنفسهم ، ولا بما أودع الله فى عقولهم من استعداد عظيم لفهم أسرار خلقه ، وبدائع صنعه ؛ فهم بالرغم من أنهم ينظرون إلى تاريخ الطبيعة وتاريخ الإنسان كما ينظرون إلى مجموعة هائلة من الأشتات والمتناقضات ، إلا أنهم لا يؤلفون بين هذه الوحدات المجموعة ، بل يأخذون كل وحدة منها على انفراد بقطع النظر عن نظائرها وأشباهها ، ثم ينسبونها إلى الله فيعللون حدوث أى حادث ما فى عالم الإنسان أو فى عالم الطبيعة بمشيئة الله المطلقة المجردة من كل منطق وكل قانون ، غير منطق الانقياد للمشاعر الوجدانية المبهمة ؛ فالأحداث والمخلوقات عندهم لا تـكاد تجمع

العدد التاسع

السنة الثانية

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

الاشتراكات

	ص
عن سنة كاملة	١٠٠
عن نصف سنة	٦٠
للطلاب وجنود الجيش	
عن سنة كاملة	٨٠
عن نصف سنة	٤٠
عن ثلاثة أعداد	٢٥

يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

ذو القعدة سنة ١٣٧٢ — يوليه سنة ١٩٥٣

العلوم والسنن الإلهية

يبدو للإنسان في نظرته الارتجالية البدائية أن صور الحياة التي يضطرب فيها الناس لا يؤلفها نظام ولا تجمعها قاعدة . ثم تختلف هـذه النظرة البدائية بحسب العقيدة :

فأما الذين يؤمنون بوجود الإله العظيم فيبدو لهم أن الله سبحانه يصنع بيده الأزلية كل مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية ، وكل حدث من أحداثها مباشرة بدون أن يكون للناس أو للنواميس أي دخل فيها أو تأثير ، ويخيل إليهم أنه يخلقها خلقاً موزعاً مبعثراً ، لا يقوم على قاعدة . وهؤلاء — وإن كانوا يؤمنون بالله — فإنهم لا يؤمنون بحكمته ولا بعدالته ولا نظامه ، بل إنهم لا يؤمنون بأنفسهم ، ولا بما أودع الله في عقولهم من استعداد عظيم لفهم أسرار خلقه ، وبدائع صنعه ؛ فهم بالرغم من أنهم ينظرون إلى تاريخ الطبيعة وتاريخ الإنسان كما ينظرون إلى مجموعة هائلة من الأشتات والمتناقضات ، إلا أنهم لا يؤلفون بين هذه الوحدات المجموعة ، بل يأخذون كل وحدة منها على انفراد بقطع النظر عن نظائرها وأشباهها ، ثم ينسبونها إلى الله فيعللون حدوث أي حادث ما في عالم الإنسان أو في عالم الطبيعة بمشيئة الله المطلقة المجردة من كل منطق وكل قانون ، غير منطق الانقياد للمشاعر الوجدانية المبهمة ؛ فالأحداث والمخلوقات عندهم لا تكاد تجمع

بينها صفة من الصفات غير صفة النسبة إلى الله جل وعلا ، فإن وجدت صفات تجمع بين بعض وحداتها فتلك صبغة ثانوية ليس لها قيمة ذات شأن يذكر . . . !

وعندما يجابهون حالة من الحالات التي تظهر فيها صفات التناقض أو الظلم أو البشاعة ظهوراً بيناً يهربون من المنطق والعقل ويكتفون بنسبتها إلى الله ، ويتظاهرون بالخشوع والتواضع ، وذلك مبلغ أمرهم من جهد التفكير ، وعناء البحث والتعليل ، فجمعوا بين الجهل والكسل ، والتفاهة والجرأة على الله !

ويتأتى من هذا تعطيل عقولهم ومواهبهم الإنسانية ، وتجريد التاريخ من عوامله وأسبابه ، وإنكار ما أودعه الله فى الطبيعة من عبر وأسرار ونواميس ، وتأتى النتيجة بعد ذلك وهى شلل عام فى المجتمع الذى يمكن أن تسوده هذه المعقدات البدائية ، ووقوف شامل عن السير فى طريق الحضارة والتطور ؛ لأن العقل إذا لم يأخذ طريقه المنطقية والتجريبية استحال عليه أن يتقدم فى معارفه ومعلوماته ، بل واستحال عليه أن يؤمن بالله غير الإيمان الساذج البليد الذى لا يتقبله الله ، ولا يحبه ولا يرضاه .

***

وأما الذين لا يؤمنون بالله من أرباب العقليات البدائية فإنهم ينسبون ظهور حوادث الخير والشر إلى آلهة ، أو أسباب خرافية ، فمنهم من ينسبونها إلى النجوم ويعبدونها ، ومنهم من ينسبونها إلى الأحجار والأشجار والنيران ، ويؤلهونها ... وهم لا يربطون بين مظاهر الطبيعة وجزئياتها كى يؤلفوا منها قواعد وكليات عامة ، بل يسندون كل ظاهرة فى الكون إلى إله من آلهتها الزائفة ، ولا ريب أن عقليات مقيدة بهذه الخرافات لا تستطيع أن تنال نصيباً من الحضارة لأن الحضارة تتوقف على العلم ، والعلم يتنافى مع الخرافة .

وليس من الصحيح أن يُعترض على هذه النظرية بانتصار بعض الأمم الخرافية فى مجال التقدم والحضارة ، مع احتفاظها بخرافاتها الوثنية وأساطيرها ، فإن هذه الأمم التى ثبت أنها أحرزت نصيباً من المدنية والعمران يستحيل أن تكون لا تزال خرافية فى معتقداتها التى لها صلة وثيقة بأسباب الحضارة ، وإن كان من الجائز أن تظل خرافية فيما لا يمس هذه الأسباب ؛ وذلك لأنها لو تمسكت بالخرافة فى الشئون الحيوية لما وصلت إلى شىء من الحقائق العلمية فيها لما ذكرناه من التناقض بين العلم والخرافة .

وكذلك من الجائز أيضاً أن تحرز الأمة كثيراً من أسباب القوة والتمدن ، وهى خرافية ، وذلك إذا كان قادتها قد تجردوا من النزعات الخرافية ، واستطاعوا أن يحملوها على الأخذ بأسباب الحضارة مستعينين بالمعتقدات الخرافية التى تحمل الجماهير على الطاعة العمياء ، ولكن الحضارة القائمة على هذا الأساس معرضة للزوال لأن العصر الذى نعيش فيه عصر الشعوب والجماهير ، فإذا لم يكن الفرد العادى داعياً لواجبه ، ناضجا فى تفكيره ، ملما بالمقومات الصحيحة فى مجال العمل الذى يؤديه ، وإذا كان لا يعمل ما يعمله من الواجبات إلا إذعانا لقادته ؛ فإن الحضارة التى تتكل عليه وعلى أمثاله توشك أن تنهار فى يوم ما لأى عارض تاريخى يعرض لها .

هذا هو تقسيم النظرية البدائية إلى مظاهر الحياة ، وهذه هى نتائجها ، وهذه هى طبيعة الشعوب التى تتصف بها .

* * *

وأما إذا نظر الإنسان إلى الكون ومظاهره ، وإلى التاريخ وأحداثه نظرة عميقة تنبعث بها طبيعة خصبة ، وقابلية وذكاء ، وجد أن كل ذرة من ذرات هذا العالم ، وكل حادث من أحداثه لا يظهر إلى مسرح الوجود إلا طبقاً لقاعدة عامة ، وناموس مطرد ، فلا يرى فيه أى شذوذ ولا عبث ولا تفاوت ، ثم تختلف بعد ذلك هذه النظرة نفسها باعتبار من هى صادرة عنه فهو إما مؤمن بالله وإما مادى ملحد وكلاهما ذو نظرة فاحصة ، ولكن المؤمن أشد عمقاً وأبعد غوراً ، فكلاهما يذهب به تفكيره إلى فهم القواعد العامة التى تخضع لها الجزئيات ، وكلاهما يربط الأشياء بأسبابها القريبة المباشرة :

فأما المادى الملحد فإنه يقف به تفكيره عند هذا السبب القريب لأن الباعث له على التفكير من أساسه إنما هى المنفعة المادية العاجلة ، فإذا وصل إليها عن طريق الأسباب القريبة الظاهرة فقد الحوافز لعبقريته وذكائه على البحث والتعمق فيما وراء ذلك ، فإذا بقى فيه شىء من حب الاستطلاع يحفزه فإنه لا يتجاوز به عالم المادة بأسبابه ومسبباته .

وأما المؤمن فإنه يذهب به تفكيره إلى ما وراء الترابط المادى بين الأشياء حتى يدرك أن هذا النظام المحكم المتسق فى الكون — وإن كانت له أسباب وعلل مترابطة

منسقة — إلا أن وراءها قوة أخرى أوجدت فيها سر هذا الترابط ، وهى قوة الله الصانع الحكيم .

* * *

ونستطيع أن نفهم مما سبق مدى الفرق بين من يؤمن بالله ولا يؤمن بالنواميس والسنن ، وبين من يجمع بين الإيمان بالله والإيمان بنواميسه وسننه .

نعتذر عن تأخر هذا العدد لظروف لم نستطع التغلب عليها . وسيصدر عدد ذى الحجة قبل موعده إن شاء الله ليدرك موسم الحج .

الجامعة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

١ — الإسلام يعتبر المسلمين جميعاً أمة واحدة مهما تناءت الديار ، واختلفت الأمصار ؛ فالإقليمية لايصح أن تنافى الوحدة ، ولا تخالف المعنى الجامع ، والأمر الواحد ، وإذا كان لأهل كل إقليم أن يصلحوا من شأنه ويجمعوا المُشَعَّث من أمره ، فلكى يكون ركنا قويا قائم الدعائم وطيد الأسس فى بناء المجتمع الإسلامى الأعلى ، وصرحه الشامخ ؛ فعلى كل طائفة تتخذ بقعة من الأرض الإسلامية مقاما لها ومستقراً ووطنا أن تعلم أنها عضو فى مجتمع مقدس يجمع الوحدة ، ويَلم الشعث ، ليكون المسلمون جميعاً قوة واحدة ، ويداً على من سواهم ، كما صرحت الآثار الصحاح ، وكما نطقت نصوص الكتاب والسنة .

وإذا دفعت العصبية الوطنية قوما من المسلمين ، فعادوا إخوانهم أو بعضهم ، وتعصبوا لإقليمهم بحكم المقام أو بحكم الجنس ، أو بحكم اللون ، فتلك هى العصبية الجاهلية التى صاح محمد بن عبد الله عليه الصلاة وأفضل التسليم فى البلاد العربية بأنه ليس منا من دعا إلى عصبية ، ونادى فى بطحاء مكة عند فتحها بأن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية فلا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب .

إن الأقاليم الإسلامية إن تضافرت وتعاونت ، وأحس كل واحد منها بأنه عضو فى مجتمع أعلى تربطه رُوح قدسية وجامعة إلهية ، ازدادت قوته ، وعلم أنه مناصَر من داخله بما فى أرضه وأهله من عناصر القوة ، ومناصر من الخارج بتلك الجماعة الإسلامية التى هى أمته الكبرى ، ووحدته العظمى .

٢ — لقد دعا الإسلام إلى الوحدة الجامعة فى محكم التنزيل فخاطب المسلمين فى كل الأجيال بقوله تعالت كلماته « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وقال سبحانه « وإن هذه أمتكم أمة واحدة » وقال تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » وقال « إنما المؤمنون إخوة » وقال صلى الله عليه وسلم « المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يسلمه » وقال عليه السلام « المسلمون يد على من سواهم » .

وهكذا تضافرت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على وجوب الوحدة الجامعة التى تربط المسلمين بعضهم ببعض أينما كانوا وحيثما ثقفوا . لا تحاجز بينهم بحار ، ولا تفصل

بينهم أنهار ؛ ولا تقطع صلاتهم جبال أو صحارى أو وهاد ؛ ولا يميز بينهم لون ولا جنس ولا دم ولا لغة ، بل جميعهم كل لا يقبل التجزئة فى حكم الشرع ، وفى حكم القرآن ، وفى وصايا الهادى الأمين محمد صلى الله عليه وسلم .

٣ — وإن الخلافة الإسلامية يوم كان الحكم الإسلامى خلافة كانت وحدة جامعة رابطة ، ولكنها كانت فى حياتها كومضة البرق فى خضم التاريخ الإسلامى ، فلم تكن خلافة نبوة إلا ثلاثين عاما ، ومن بعد ذلك صارت ملكا يعض عليه بالنواجذ ، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الخلافة بعدى ثلاثون ثم تصير ملكا عضوضا » أى يعض عليه ويستمسك به .

ثم من يوم أن صارت ملكا أخذت المطامع تتوزع الجماعة الإسلامية ، وتفرق أمرها ، وكان من سنة الفطرة — وقد صار الحكم بالغلب والقهر، لابوازع من الدين ، ولا باستجابة من ثقة الجماعة — أن ينقسم الجسم الإسلامى إلى أجزاء فاقدة الحياة الدينية ، والمعنى الإسلامى ، والروح الإلهى ، وكان من وراء ذلك أن تحكمت الأهواء والمطامع ، وأن اختفى العدل القرآنى ، والحكم النبوى ، وصارت شهوة الملك هى التى تحكم وتسُنُّ ، ثم تبع ذلك بلاريب أن صار لكل ملك حوزة ، ولكل حوزة سلطان ، وأن يمتشق المسلمون سيوفهم ، ويصوبوها إلى نحورهم ، وأن صار بأسهم بينهم شديدا ، وفقدوا الوحدة فى المظهر والجوهر ، حتى لقد سوغوا لأنفسهم أن يرضوا بالهون ، والفرقة والانقسام ، وسوغ ملوكهم لأنفسهم أن يتحالفوا مع أعداء الإسلام بعضهم على بعض ؛ بل أن يرتضى بعض الملوك فناء المسلمين فى أقاليم إسلامية زاخرة بالحضارة الإسلامية ؛ فقد ارتضى سليمان القانونى ، وقد وصلت طلائع جيشه إلى أسوار مدينة فينا أن يغضى عن شعب الأندلس وسيوف الفرنجة تحز رقابه ، وأن يسكت ومسجد قرطبة يتحول إلى كنيسة .

٤ — وقد كان ذلك والأعداء يتربصون بهم الدوائر ، لأنه بعد أن رُدَّت غارات الصليبيين على أعقابهم مهزومين مدحورين أخذت الدول الأوربية تقتنص الأقاليم الإسلامية قطعة قطعة ، ولبست الحرب الصليبية ثوب الاستعمار ، فأخذت تنتقص أرض الإسلام من أطرافها ، وتضيق على ملوكهم ، حتى سلبتهم سلطانهم ، وأصبحوا وليس لهم من الملك إلا المظهر والشكل ، والتمكين من اللذائذ والأهواء والشهوات ، ثم لم يمض إلا زمن قليل حتى وجدنا البلاد الإسلامية كلها مستعمرات لأوربا ومناطق نفوذ لها ؛ وبُدِّلنا فى نفوسنا ، فصرنا أذلة ، وقد كنا الأعزة ، وصرنا مغلوبين وقد كنا

الغالبين ، وصرنا مرام كل نائل ، وقد كنا حماة الحضارة ، ولا عجب فقد تغيرت نفوسنا ، فتغيرت حالنا ، و« إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال » .

٥ - وإن ذلك كله لأننا اعتبرنا كل إقليم إسلامي أمة قائمة بذاتها ، لا تربطه بالأمم الأخرى الإسلامية أية علاقة بل لقد وجدنا بعض الأقاليم يسوغ ولاته لأنفسهم أن يعقدوا المعاهدات لأمم أوربا ضد بعض الأقاليم الإسلامية نفسها ، ولقد وجدنا إقليما إسلامياً يطلب بقاء الاحتلال الأجنبي في مصر تأميناً لنفسه من بعض الدول ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ولم يقف أمر المستعمرين عند هذا الحد ، لم يرتضوا أن يكون المسلمون في ولايتهم وتحت سلطانهم وبهم مصاير أمورهم يتحكمون في سياستهم ونفوسهم وأخلاقهم ، بل أرادوا لهم مع ذلك الفناء بعد أن كانوا لا يألونهم إلا خبالا ؛ وابتدأوا بفلسطين فأفنوا أهلها ، وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم ؛ والعليمون بخبايا النفوس الأوروبية ومشروعاتهم يعلمون أن فناء فلسطين ابتداء ، وليس انتهاء ، ومقدمة وليس نتيجة ؛ وخطوة وليس غاية ، إنما هو تنفيذ خطة مرسومة لإفناء الشرق العربي ، ومن وراء العرب مَن بعدهم ، والله سبحانه وتعالى من ورائهم محيط .

٦ — ولكن اقتطاع الجسم الحي قد يوقظ مشاعره ، ويدفعه إلى الإحساس القوي بالحياة ، ومن أحس بالحياة طلب أسبابها ، وتجافى عن أسباب الموت والفناء ؛ ولقد كان اقتطاع فلسطين من جسم العالم الإسلامي سبباً في أن جرى في مجاريه إحساس بالألم ؛ ووراء الإحساس بالألم إحساس بالحياة ، وإدراك مايراد به ، والإحساس بالحياة يدفع إلى المقاومة ؛ وفي المقاومة تتحفز النفوس ، وتستيقظ القوى ، وتتفتح الآمال ، وتتجه الإفكار نحو تحقيق الغايات ؛ فتسهل الصعب ، وتزال الشموس ، وبذلك يقرب البعيد ، ويدنو القاصي ، ويتحقق ما كان يظن مستحيلا .

ولقد كان إفناء فلسطين فوق ذلك إيقاظاً للعقول الغافلة ، وبعثاً للهمم الراكدة ؛ والعزائم الخائرة ، وكشفاً للسراب الخادع الذي كان يخدع به الأوربيون المسلمين ؛ إذ يزعمون أنهم دعاة الحرية وحماة الحق والعدل ، وناصرو الضعفاء ، وخاذلو الأقوياء فبصنيعهم في فلسطين ، وتألبهم على المسلمين بدا الصريح عن الرغوة ؛ وانجلى الصبح لذي عينين ، وصار لا ينخدع بهم إلا من يخدع نفسه ، ولا يضل بهم إلا من أضل قلبه ، وأعمى بصره ، وطمس بعمله على مسارب النور إلى عقله .

٧ — لقد وثبت قلوب المسلمين من مضاجعها ، وأبصر من كان يغمض عينيه ، فكان من تلك الوثبة المباركة أن أخذت الأقاليم الإسلامية تلقي عن أعناقها ذل العبودية إقليما إقليما ، وسهل ذلك تحلل قوى تلك الدولة المستعمرة الخادعة التي جثمت على صدور المسلمين قرنين من الزمان ، فاستطاعت وثبة من بعض الأقاليم الإسلامية أن تغل يدها إلى عنقها ، وأن تحملها على أن تنهنه من حدتها ، وأن تجعلها ترعوى عن بعض غيها ، بل تمنعها من بعض إثمها ، وترد كيدها فى نحرها ، وإن تلك الوثبة الناهضة لا تؤدى إلى غايتها ، ولا تنتهى إلى نهايتها إلا إذا تضافرت الجهود ؛ واتحدت الغايات ، ووحد المقصد والغاية .

لقد كان المسلمون جميعاً هدفاً يراد بالأذى ، فليكونوا جميعاً فى دفع هذا الأذى ، وإذا كان العدو قد تجمعت جموعه فى كتل دولية فمن الحق على المسلمين ، وقد واتتهم الفرصة أن يجتمعوا أيضا فى كتلة دولية ترد كيد الكائدين ، وتقف اعتداء المعتدين ، وتعلن بين العالم قوة المسلمين .

٨ — إننا نرى العالم يتجمع فى جماعات دولية ، كل جماعة تربطها وحدة اجتماعية أو اقتصادية ، فهذه الدول الشيوعية تتجمع وتتوحد غاياتها ، وترسم سياسة تتبعها الدول التى تنتمى إليها من أقصى الصين فى الشرق إلى أطراف أوربا فى الغرب ، فتبرز فى المجتمعات الدولية وحدتها وكأنها الدولة الواحدة يحكمها حاكم واحد ، وتنظمها سياسة واحدة وبذلك يجتمعون على باطلهم ، ولا نحاول نحن المسلمين أن نجتمع على حقنا ، وشرع ربنا .

ثم هاهى ذى الدول الغربية تجتمع فى جماعة دولية أخرى موحدة الغاية ، موحدة المرمى ، تتجه نحو هدف واحد ، وتقصد مقصداً واحداً ، وتبرز وحدتها فى المجتمعات الدولية ، وهكذا تتصارع القوتان تحت سلطان نظام مالى ، أو نظام اجتماعى ، ألم يأن من بعد للذين آمنوا أن يجتمعوا ويكونوا جماعة دولية موحدة القصد والغاية والهدف ، تحت ظل القرآن حبل الله الممدود إلى يوم القيامة ، وفى نور من الهدى المحمدى ، والحكم النبوى . لقد اجتمع أولئك الناس تحت ظل المادة ، أفلا نجتمع نحن فى ظل الروح ، لقد اجتمعوا فى ظل من الإلحاد فشقوا وأشقوا الناس ، أفلا نجتمع فى ظل من الدين ، فنسعد ، ونظهر للناس عدالة ديننا ، لقد اجتمع أهل الباطل أفلا يجتمع أهل الحق .

٩ — إن اجتماع المسلمين فى ظل الجامعة الإسلامية صار ضرورة تقتضيها سنة الوجود ، وقوانين الحياة ؛ فإن عملنا على تحقيقها نلنا الحياة واستحققناها ، وإلا فهو

الفناء الذى لا ريب فيه وليس الفناء للعزة فقط ، وإن كانت العزة أغلى ما فى الوجود ، وفقدها موت الأحياء ، إنما هو فناء حقيقى لا مجاز فيه ، وقد بدت بوادره ، وتكشفت مظاهره ، ولا موضع فيه لمماراة أو جدل ، أو خديعة ، أو تدليس ، وتلك فلسطين دليل ناطق صارخ.

لقد فكر المفكرون فى الجامعة الإسلامية فى آخر القرن الماضى ، فأخذ الكتاب الأوربيون — تبعاً لسياسة مرسومة ، وغاية عندهم معلومة — يبينون أن الدول لا تقوم على مبادىء دينية ، إنما تقوم على وحدة اللغة أو الجنس أو المقام فى أرض واحدة ، وذلك ليعوقوا حركتنا ، ثم بثوا ذلك فى عقول ناشئينا وقد سيطروا على منافذ قلوبهم بعد أن سيطروا على ملوكنا وذوى السلطان فينا ، وأخذوا يشيعون المقالة بهذا فى نفوسهم بطرق تشبه الاستهواء ، حتى أصبح الكثيرون من المسلمين لا تستأنس عقولهم بدعوة جامعة فانذعرت كلمة المسلمين ، وتفرقت كلمتهم ، وصار منا من يقتنع ويقنع بأن هذه أسس تكوين الدول ، وبأن من طالب بالجامعة الإسلامية فقد خالف سنة الوجود وطبيعة تكوين الدول . مع أن المثل قائمة فى دول أوروبا نفسها فهذه بروستنت ، وهذه كاثوليك وهكذا . .

ثم هذه التجمعات الدولية تحت سلطان غير سلطان الجنس وغير سلطان اللغة ، وغير سلطان الإقليم بل تحت سلطان مذهب مالى ، أو مذهب اجتماعى ، فإذا كان ذلك النوع من المذاهب يجمع كتلا دولية ، فلماذا لا يكون الدين جامعاً للكتلة الإسلامية ؟ وهو أقوى تأثيراً فى القلوب ، وأشد صهراً للنفوس ، فتجتمع مؤتلفة غير متنافرة ، وموحدة متجانسة .

١٠ — أيها المسلمون :

إننا نريد أن نعود إلى أحكام ديننا ، حتى نكون مؤمنين حقاً ، فلا نحمل اسم الإسلام وأعمالنا تجافيه ، ونحمل اسم الإيمان وتصرفاتنا تعاديه ، نريد أن تقام حدود الله ، وتنفذ فرائض الله ، وينفذ شرع الله ؛ ونعيد مدنية فاضلة بناها محمد وأصحابه الراشدون الذين كانوا أئمة الهدى ، ونريد أن يقوم اقتصادنا على النظم الإسلامية المقررة الثابتة التى لا يمارى فيها مؤمن ، وإنه بغير ذلك تكون تسميتنا مسلمين دعوى لا دليل عليها ، واسما لا يدل على مسماه ، وشكلا لا يتحقق معناه .

ولا عائق يعوق إقامة شرع الله إلا تفرق كلمة المسلمين ، وذهاب وحدتهم ، وعدم وجود جامعة تجمعهم : توحد غايتهم ، وترسم سياستهم ، وتجعلهم كتلة دولية بحسب

حسابها ، ويقدر أمرها ، وتنفذ كلها ، وتكون ميزان هذا العالم فتقف بين النظم الاقتصادية المتضاربة والنظم الاجتماعية المتناحرة موقف من يقيم الميزان بالقسط ؟ ومعها كتاب الله يهديها وسنة نبيه ترشدها .

لا سبيل لأن نقيم شرع الله الذى نسعد به فى الدنيا ، ونرجو بهديه الثواب فى الآخرة إلا بجمع الكلمة فى ظل الجامعة الإسلامية ، حيث يكون اقتصادنا واحداً ، أو على الأقل ننشىء نظاما اقتصاديا أساسه التعاون بيننا ونرسم سياسة نواجه بها أعداءنا ، ونزيل الحواجز من بين أقطارنا فينتفع كل بما عند الآخر ، وتستغل كل القوى المنتجة المثمرة سواء أكانت صناعية أم زراعية ، أم إنسانية عقلية أو بدنية أو عددية .

أيها المسلمون : إن الجامعة الإسلامية مطلب الحياة ، ومطلب العزة ، ومطلب الدين ، وأمر الله ،وقد قال عليه السلام: المسلمون يد على من سواهم والمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، فلا يصح أن نجعل الجامعة الإسلامية موضع مجادلات ومناظرات فهى حقيقة الإسلام ، ويجب أن نعمل من الآن على تحقيقها ، وإلا أكلتنا الذئاب العاوية فإن العالم الآن يحكمه قانون الغلب وهو قانون الغابة ، فعلينا أن نتخذ أسباب القوة ، باجتماعنا تحت راية القرآن وفى ظل الله العلى القدير .

إن الوحدة الإسلامية فيها عصمة واجتماع ، وحفظ للثروات الإسلامية من أن يأكلها من يتخذها ذريعة لإفنائنا ، ولقد قال عليه السلام : « إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله عليكم ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » هذه دعوة رسول الله فأجيبوه

وقد يسأل سائل كيف تكون الوحدة وما عناصر تكوين الجامعة الإسلامية . ذلك ما سنبينه فى المقال التالى إن شاء الله تعالى : « ربنا هيىء لنا من أمرنا رشدا » .

الإسلام مثل أعلى للأمة الإسلامية

لأبي نعمان المهاجر

إن من أشد المحن التي يقاسيها الإسلام في ظروفه الراهنة ، أن المسلمين على ما بهم من مجافاة لتعاليمه ، وانحراف عن نهجه ، وإفلاس من فضائله ما يزالون ينسبون إليه ، ويستدل بهم عليه ، ويؤخذون — على ما بهم من زيغ ، واعوجاج — مقياسا لهديه الحكيم وصراطه المستقيم ،

ولو أن هذا الوهم الخاطئ قد اختص الغرباء عن الإسلام لكان خطبه أيسر ، وجنايته أهون ، إذ كان هذا لا يصرف المسلمين عن حقيقة الإسلام ، ولا يبتليهم بالشك ، ولا يدعهم في حيرة وارتباك ، ولكنه وهم شمل الناس ببلائه جميعاً واختص المسلمين بأوفر نصيب من ليله وظلامه . . فكان من نتيجة ذلك أن المسلمين — إذ كانوا قد جعلوا أنفسهم تفسيراً للاسلام ، وترجمة حرفية له — أخذوا — وهم في غمرة التيارات الحديثة — يتحسسون لهم عن نصيب في تيارات مستعارة من هذا العصر كأنهم قد فرغوا من أمر الإسلام بحثاً وتمحيصاً وتجربة .

نظروا إلى حالتهم على علاتها فوجدوها معوجة سقيمة مذبذبة ، فرأوا أنهم — وهم يعيشون في هذا العالم السائر — مضطرون إلى اختيار أسلوب من أساليب الحياة الصالحة ، فأخذوا يبحثون عنها لدى الأمم الأخرى ، وكانت طبيعة الحق والمنطق تقضى عليهم أن يبحثوا عنها أولاً في أنفسهم وفي تاريخهم ، وأن يتعمقوا في البحث والتمحيص ، وأن لا يكتفوا بالنظرة العابرة في هذا الأمر الخطير !.

ولما لم يجدوا في أحوالهم الراهنة ما يشفي نفوسهم ، ويرفع رؤوسهم ، ذهبوا مسرعين بعيداً عن كيانهم كله يبتغون لهم كياناً آخر ، ويتكلفون أن يخلقوا لهم ذاتية لم يخلقها الله !

قالوا : إن الأمم لا تستطيع أن تعيش إلا حول مثل أعلى ، وإلا انحلت وتمزقت وذهبت ريحها ، وقالوا : إن الأمم الأوربية ما عظمت ونبغت نبوغها إلا حول الفكرة الوطنية التي هي مثلها الأعلى . . وهذا كله صحيح ، ولكن : لماذا نذهب في قياس أنفسنا عليهم - معشر المسلمين — بمجرد النظرة العابرة ونحن نعرف أن مثلهم الأعلى

إنما انبجس من تاريخهم ، وتولد من ماضيهم ، وأن تاريخهم لا يستطيع أن يلد لنا نحن مثلا أعلى ، لأن لنا تاريخا يجب أن يلد لنا ما يتفق معه ، وينطبق على طبيعته من المثل والمبادىء ، وليست طبائع الأمم ولا مصائرها بالتي تنقل أو تنسخ أو ترتجل ارتجالا !

* * *

وقالوا : إن الوطنية الإقليمية الضيقة تبعث على التضحية وعلى الفداء ، وتلم الشعب كله حول فكرة يتفانى فيها ويستميت فى سبيلها ، وهذا صحيح ، ولكن إيجاد هذه الفكرة كمبدأ وعقيدة ، وكمصدر للقوى الكامنة فى نفس الشعب ليس بالأمر الهين السهل الذى يتغلغل فى أعماق الشعب بمجرد إعلان فى جريدة أو تلقين فى مدرسة ؛ إنما هو ثمرة العصور والأجيال ، ونتيجة لتاريخ معين وظروف خاصة تطورت ونضجت وأدت إلى هذه الفكرة ، وإلى هذا المبدأ ، فلو افترضنا أننا نستطيع أن ننقطع عن ماضينا ونخترع أنفسنا اختراعاً مرتجلا ، ونتمرد على نواميس التطور ، فلا نجعل الحاضر نتيجة للماضى وطوراً من أطواره ، لكان علينا بعد الإتيان بهذه المعجزة أن ننتظر فكرة الإقليمية الضيقة عصوراً طويلة وأجيالا كثيرة ، حتى ترسخ وتستحكم ، وتأتى بنتائجها الطبيعية ، وسنضطر فى أثناء فترة الانتظار الطويل إلى أن نكون مجموعة من الشعوب ليس لها مبدأ راسخ ، ولا مثل أعلى ، ولا ذاتية مستقلة ، وحسبنا هذا من خطر يجعلنا عرضة للفناء والموت فى هذه الفترة الطويلة .

وإن أخطر ما فى هذا الخطر علينا هو أننا لا نعرفه ، ولا نتبينه لأننا أصبحنا نجهل مدى ما فى أمتنا من القوى الكامنة ، والمواهب الدفينة ، فلا نستطيع أن نستنبط من من هذا الجهل مقياساً للخسارة ، ولا للربح ، فبالرغم من أن شعوبنا مفلسة من القوى النفسية ومن المثل العليا ، فإنه يخيل إلينا حينما نهتف بفكرة مستعارة ونتحمس لها الحماس الوقتى المفتعل ، بأننا أصبحنا ذوى مثل عميقة راسخة كسائر الشعوب والأمم ، ونكتفى بهذا الحكم الساذج الفطير ، وكان المنطق يقتضينا أن لا نأبه لمظاهر هذا الحماس ، وأن لا نقتنع إلا بالنتائج العملية لمثلنا الجديدة ما دمنا لا نستطيع أن نجد المقاييس للأفكار المجردة ، فنحن لا يمكن أن نعرف قيمة هذه المثل إلا بنتائجها ، وإذاً فإننا — بناء على هذا المنطق الواضح — إذا نظرنا إلى شعوبنا الإسلامية بوجه عام وجدنا أن هذه المثل العليا التى استعرناها من الغرب لم تؤت نتائجها الطيبة المنتظرة ، فلم تنبع فيها ينابيع القوى لهذه الشعوب ، ولم تظهر مواهبها الدفينة التى عرفها التاريخ فى الماضى .
ولا شك أن هذه الشعوب لم تمسخ طبائعها ، ولم تبدل عنصريتها ، وإنما أخطأ ساستها ومربوها طريق بعثها ونهضتها السوية الصادقة !

وقد ظللنا نشكو الخطر ، ونتذمر من الألم ونجد أن هـذه الشعوب مرتكسة فى محن وآلام ، واقعة فى خطوب وأهوال ترسف فى القيود ، وتتجرع الهوان ، وليس ذلك من قلة فى العدد ، ولا عجز فى الإمكانيات ، وإنما هو الإفلاس فى مثل الأمة الأعلى الذى ينسجم مع طباعها وماضيها وتاريخها .

* * *

نعم . . إننا ضعفاء فى القوى المادية ، لم نبلغ بعد إلى ما ينبغى لنا أن نبلغ إليه من النظام والاستعداد ، ولكن ليست هذه العلة كل ما نحن فيه ! .. وذلك لأن مشاكلنا المعضلة لا تحتاج إلى جيوش ولا دبابات ، ولا أساطيل ، وإنما تحتاج إلى الإخلاص والإيمان ، والتضحية ، والاتحاد ؛ وتلك خلال إنما تنضج نضوجها فى نفسيات الشعوب وأخلاقها إذا ارتبطت بمثل الأمة الأعلى ، ولن يكون هـذا المثل للأمة الإسلامية غير الإسلام ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ،



لست أشكو الغربى وهو غريب ... إن رمى شعبنا بما لا يحلُّ
إنما أشتكى يداً هى منى ... وعليها دمى الزكى يُطل
أيما عقدة تحال إلينا ... نسأل الأجنبى كيف تحل
وإذا الرأس وهو أكرم عضو ... دان للضيم فهو عضو أشل

محمد على الحومانى

مجتمع عالمى

للأستاذ سيد قطب

(٤)

وأخيراً فإن المجتمع الإسلامى هو المجتمع الذى يوفر العدالة المطلقة لجميع المواطنين ، بصرف النظر عن عقائدهم وأجناسهم وألوانهم ومواطنهم ، ويبلغ فى هذه السمة ما لم يبلغه مجتمع آخر قديماً أو حديثاً ، وعلى هذا المبدأ تتضافر النصوص التشريعية ، ويؤيدها الواقع التاريخى .

يتحدث القرآن عن العدل ، فيقرر أنه العدل بين الناس : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل[1] » .

ثم يتحدث عن الملابسات التى لا سبيل إلى تجاهلها فى المجتمع : ملابسات القرابة والصداقة ، وملابسات العداوة والشنآن ، فيدعو إلى نفيها من ساحة العدالة كى لا تفسدها :

« وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى[2] » .. « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله[3] » .

« فهو العدل المطلق الذى لا يميل ميزانه الحب والبغض ، ولا تغير قواعده المودة والشنآن . العدل الذى لا يتأثر بالقرابة بين الأفراد ، ولا بالتباغض بين الأقوام ، فيتمتع به أفراد الأمة الإسلامية جميعاً ، لا يفرق بينهم حسب ولا نسب ، ولا مال ولا جاه ، كما تتمتع به الأقوام الأخرى ، ولو كان بينها وبين المسلمين شنآن . وتلك قمة فى العدل لا يبلغها أى قانون دولى إلى هذه اللحظة ، ولا أى قانون داخلى كذلك . والذين يمارون فى هذا عليهم أن يراجعوا عدالة الأقوياء للضعفاء بين الأمم ، وعدالة المتحاربين بعضهم إلى بعض ، ثم عليهم أن يراجعوا عدالة البيض للحمر والسود فى الولايات المتحدة ، وعدالة البيض للملونين فى جنوب أفريقية . وفى الإشارة ما يغنى

(١) النساء — ٥٨
(٢) الأنعام ١٥٢
(٣) المائدة — ٨

فهى أحوال معاصرة يعلمها كل إنسان . والمهم أن عدالة الإسلام لم تكن مجرد نظريات ، بل أخذت طريقها فى واقع الحياة[1] » .

افتقد الخليفه على بن أبى طالب درعه فوجدها عند رجل نصرانى ، فأقبل به يقاضيه إلى شريح القاضى وقال : إنها درعى ولم أبع ولم أهب . فسأل شريح النصرانى : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين قال : ما الدرع إلا درعى ، وما أمير المؤمنين عندى بكاذب ! فالتفت شريح إلى على يسأله : ياأمير المؤمنين هل من بينة ؟ فضحك على وقال : أصاب شريح . مالى بينة ! فقضى بالدرع للنصرانى ، فأخذها ومشى « وأمير المؤمنين » ينظر . . إلا أن النصرانى لم يخط خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء . أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضى عليه ! أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الدرع درعك يا أمير المؤمنين . أتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين ، نخرجت من بعيرك الأورق . فقال على : أما إذا أسلمت فهى لك .

وسابق ابن عمرو بن العاص والى مصر رجل من أقباط مصر على فرس له فسبقه . فعز على ابن الحاكم العربى المسلم أن يسبقه أحد الرعية ، فضربه بالسوط ... وهو يقول : « خذها وأنا ابن الأكرمين ؟ فلما عرضت القضية على خليفة المسلمين عمر بن الخطاب فى مؤتمر الحج العام . أعطى المصرى درته ، وقال له : « اضرب ابن الأكرمين » ثم قال قولته الخالدة يجبه بها عمرو بن العاص : « متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » . . ولقد شاء الخليفة للمصرى ألا يضرب ابن عمرو وحده ، بل أن يعلو بالدرة عمراً ، فما استطال ابنه إلا بجاهه لولا أن القبطى أباها ، واكتفى بالقصاص لنفسه ممن ضربه . .

ولقد سبق أن اقتبسنا من كتاب : « الدعوة إلى الإسلام » للسير . ت . و . أرنولد « أن أهل حمص غلقوا أبوابهم دون جيش هرقل ، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم » .

فلم تكن نماذج العدل الإسلامى محصورة فى حوادث فردية ، مما قد يقع نظيره بين الحين والحين ؛ ولكنها كانت منهاجا عاما ، وخطة ثابتة ، مع الأفراد والجماعات والشعوب على سواء . مما يثبت المجتمع الإسلامى سبقه فى العدالة الإنسانية المجردة عن كل ملابسة . وتحقيقه هذه العدالة بين الجميع فى واقعه التاريخى .

فكرة الإسلام عن وحدة البشرية ، ونفيه لعصبية الجنس واللون والوطن ،

---

(١) عن كتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام

واعتقاده فى وحدة الدين فى الرسالات كافة ، واستعداده للتعاون مع شتى الملل والنحل فى غير عزلة ولا بغضاء ، وحصره لأسباب الخصومة والحرب فى الدفاع عن حرية الدعوة وحرية العقيدة وحرية العبادة ، وفى دفع الظلم عن المظلومين وإزالة الفساد من الأرض ، ونفيه للأسباب الاقتصادية والمذهبية للحروب ، وضمان العدالة الاجتماعية المطلقة للجميع . . كل هذه الخصائص هى التى تهيء للنظام الإسلامى أن يكون نظاما عالميا ، وللمجتمع الإسلامى أن يكون مجتمعاً غير عنصرى ولا مذهبى ، مع قيامه على أساس من عقيدة سماوية ، تعنى عناية كبرى بالعنصر الأخلاقى ، وتحاول رفع روح البشر وسلوكهم ، وتدعو إلى الخير والرفعة والكمال . . مما يفرد النظام الاجتماعى الإسلامى بسمة لا نظير لها فى سائر أنواع النظم الاجتماعية التى عرفتها البشرية قديما وحديثا .

إن المجتمع الإسلامى مجتمع حر مفتوح ، يملك كل فرد وكل جماعة وكل شعب أن يدخل إليه ويندمج فيه ، من غير استئذان ودون قيد ولا شرط — إلا الكف عن اضطهاد الدعوة واضطهاد العقيدة وظلم الناس والفساد فى الأرض .

ليس هنالك حاجز من الجنس . ولا اللون ، ولا اللغة ، ولا الحدود الجغرافية ، ولا حتى من عصبية الدين . كل إنسان يملك — بدون استئذان كاهن ولا رجل دين — أن يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؛ فإذا هو مسلم ، له فى الوطن الإسلامى كل حقوق المسلمين الذى لهم آباء فى الإسلام وأجداد . وكل مسلم على وجه الأرض يملك — بدون استئذان حاكم ولا شرطى — أن يدخل الوطن الإسلامى ويخرج منه ، ويذهب فى أرجائه ويروح ، دون جواز سفر ، ودون وقفة عند الحدود ! وكل إنسان — وإن لم يكن مسلما — يملك أن يعيش فى ربوع الوطن الإسلامى ، مكفول الحرية فى العقيدة والعبادة ، مكفول الدم والمال ، مكفول الرزق والمعيشة عاملا أو عاجزاً عن العمل — ما دام خاضعاً للقوانين التى تنظم حياة الجماعة ، شأنه شأن المسلمين من أهل البلاد . وكل دولة غير محاربة تملك أن تتعاقد وتتعاهد مع الدولة الإسلامية ، على الإصلاح فى الأرض ، أو على السلم والمهادنة ، فتثق أن عهدها محفوظ غير منقوض ما وفت هى بعدها ، ولم تنقض منه شيئا .

ومثل هذا المجتمع لا نظير له فى غير النظام الإسلامى . . ومن شاء فليستعرض جميع المجتمعات القائمة فى الأرض فى هذا الزمان .

لنأخذ المجتمع اليهودى مثلا ، إنه مجتمع مقفل لا يدخله إلا إسرائيلى . فالدين والقومية شىء واحد . ومن هنا هو مجتمع مغلق فى وجوه الآخرين غير قابل لأن يكون مجتمعا عالمياً فى يوم من الأيام .

المجتمع الهندوكى بدوره يكاد يكون مجتمعا مقفلا كالمجتمع اليهودى ، لأن تقسيم البرهمية للطبقات فى هذا المجتمع ، وعزلها كل طبقة عن الأخرى عزلا كاملا ، بحيث لا يمكن اجتياز الفواصل الحديدية بين هذه الطبقات . . . . لا يسمح لغير الهنود أن يعتنقوا الديانة الهندوكية ، ولا يسمح بفكرة الأخوة العالمية ، التى تهيء لقيام مجتمع عالمى مفتوح للجميع . ومهما شاركت الهند فى سياسة العالم فى المستقبل ، ومهما تكن ضخامة تعدادها ومواردها ، فإنها ستبقى فى عزلة اجتماعية عن البشرية ، لأن المجتمع الهندى حسب مقوماته الحالية مجتمع مغلق ، غير قابل للنمو والامتداد ، ولن يكون له دور يؤديه فى حياة البشرية إلا إذا تخلى عن الديانة البرهمية ، التى تقيم فواصل متحجرة بين الطبقات الإنسانية .

أما المجتمع المسيحى — إذا صح هذا التعبير — فالمسيحية لا تحكمه . والنظم فيه لا تعتمد على العقيدة إنما تعتمد أساساً على القوانين الوضعية ، حيث تقف العقيدة فى عزلة عن المجتمع ، تحاول أن تعمل فى ضمير الفرد وحده . وبديهى أن قوة النظام الاجتماعى لا تمهل الفرد ليستمع إلى صوت الضمير ما لم يكن هذا النظام ذاته قائماً على العقيدة التى تعمر الضمير . . . وهـذا الانعزال بين العقيدة والنظام فى العالم الذى يسمى العالم المسيحى ، يحرم الفرد ذلك التناسق الذاتى بين ضميره والنظام الذى يعيش فى ظله ، كما يحرم المجتمع تلك الإيحاءات السامية المنبعثة من روح الدين . . وعلى أية حال فهذا موقف اضطرارى فى العالم المسيحى ، لأن المسيحية لم تتضمن شريعة تنظم المجتمع عن طريق القانون . ومن هنا ذهبت كل دعوات المسيحية إلى السماحة الإنسانية هباء ، وغلبتها روح الاستعمار الخبيثة ، المنبعثة من النعرة القومية المنعزلة داخل الحدود الجغرافية . ومهما تقل الماركسية عن العلاقة بين الرأسمالية والاستعمار ، فسيبقى واضحاً أن الرأسمالية وحدها بدون النعرة القومية لم تكن قادرة على خلق نظام الاستعمار فى شكله الذى ظهر به وعرفه الناس عليه .

يبقى المجتمع الشيوعى — وهو مثل المجتمع الإسلامى من ناحية كونه يقوم على فكرة ، لا على حدود جغرافية ولا على عصبية عنصرية — ولكنه — على الأقل فى وضعه الحاضر — يعد مجتمعاً مغلقا ، تقوم حوله الأسوار الحديدية فضلا على تجرده من كل سماحة إنسانية ، لتغلغل روح الحقد الطبقية فى تعاليمه ، وتنكره لروح الدين وكل اشعاعاتها الخلقية فى الضمير .

وهنالك الفارق الرئيسى البارز بين المجتمع الإسلامى والمجتمع الشيوعى من ناحية حرية العقيدة ... إن المجتمع الإسلامى كما أسلفنا مجتمع حر مفتوح ، تملك جميع العقائد والمذاهب والآراء أن تعيش فى ظله ، وليس الإكراه عنصراً من عناصر تكوينه ولا بقائه ، وهو لا يحمى نفسه بقوة البوليس والجستابو ، ولا يخاف من لا يدينون بدينه ولا يضيق عليهم ، ولا يطردهم من الأرض ، ولا يدفنهم فى ثلوج سيبيريا ، ولا يغتالهم بحركات التطهير . . . ذلك أنه يعتمد على الإيمان بالعقيدة ، وعلى تطوع كل فرد فيه بصيانة النظام القائم على هذه العقيدة . . ومن ثم فحدوده مفتوحة بلا حواجز ولا قيود لجميع المسلمين من كل جنس ولون وصقع ، ولغير المسلمين كذلك من المسالمين . لا بل إن المشرك ليملك فى الوطن الإسلامى أن يستجير فيجار ، ويتحتم حينئذ على الدولة المسلمة أن تحميه ، وأن تكفله ، وأن تبلغه مأمنه : « وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجِره حتى يسمع كلامَ اللهِ ثم أبلغه مأمنه » (١) .

ولا بد لنجاح أية دعوة عالمية من وجود مجتمع عالمى حر مفتوح ، يسمح للمخالفين له فى الرأى والعقيدة ، أن يعيشوا فى ظله آمنين ، لأن الناس لا يمكن أن يدينوا جميعاً بمذهب واحد ، ولو كان هذا المذهب من وحى إله لا من صنع بشر . وحرمان من يخالفون المذهب الشيوعى حق الحياة فى المجتمع الشيوعى يحرمه صفة المجتمع العالمى ، الذى تتجاور فيه جميع العقائد ، وجميع المذاهب ، وجميع الأجناس والألوان .

* * *

وكذلك يبدو أن المجتمع الإسلامى وحده ، هو المجتمع العالمى ، الجدير بعالم حر . وهو وحده السابقة الناجحة فى سبيل عالم واحد ، تنعم فيه البشرية بالأمن والسلام والاستقرار .

ملم . . .

ولربما ضحك الحليم من الأذى وفؤاده من حــره يتـأوه

ولربمـــا شكل الحليم لسانه حـذر الجــواب وإنه لمفوه

---

(١) التوبة ــ ٦

من فقه القرآن والسنة

شروط البيع

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٥)

وجود سبب شرعي :

وأخيراً ، قد نجد في عقد البيع كل ما سبق ذكره من شروط ، ومع هذا لا يكون عقداً صحيحاً شرعا لأنه ليس له سبب مشروع ، ذلك بأن كل عقد يجب أن يكون له سبب يدعو إليه ، وإلا كان عبثا لا يليق بالعاقل الإقدام عليه . وهذا السبب قد يكون مشروعا ، وإذاً يصح العقد : أو غير مشروع ، فلا يجوز ولا يكون صحيحا .

وليس القصد هنا بحث نظرية سبب العقد أو الالتزام بعامة ، من ناحية أصلها وما تطورت إليه حسب الزمان والمكان . ولكن الذي نقصده هو الكلام عن هذه النظرية في الفقه الإسلامي ، ومقدار ارتباطها بالكتاب والسنة إن كان الفقهاء المسلمون قد التفتوا إليها .

وقد يعرف الدارس للفقه الإسلامي أن منهج فقهائنا ، رضوان الله عليهم ، يقوم على تتبع الجزئيات والتفريعات أكثر مما يقوم على استخلاص النظريات العامة التي ينطوي تحت الواحدة منها الكثير من الجزئيات . ولهذا ، لم يؤثر عنهم أنهم صاغوا نظرية عامة للالتزام أو العقد ، أو نظرية في التعسف في استعمال الحق ، أو نظرية في سبب العقد ، إلى سائر النظريات التي عنى بها فقهاء القانون . وهذا نقص أو عيب بلا ريب في منهج البحث والدرس ، ولكن عذرهم أنهم كانوا عمليين يهمهم في الدرجة الأولى تعرف الأحكام الشرعية في كل ما يجد لهم من الحوادث .

على أننا نجد إشارة هنا وأخرى هناك لبحث سبب العقد أو الالتزام بصفة عامة في مؤلفات بعض علماء أصول الفقه ؛ ومن هؤلاء الشاطبي صاحب الموافقات ، والقرافي صاحب الفروق ، وكذلك ابن القيم صاحب كتاب إعلام الموقعين . فقد تكلم هؤلاء ،

وغيرهم من الأصوليين ، عن سبب العقد وتعريفه وشروطه ، لأنهم رأوا بحق أن السبب المشروع شرط لا بد منه فى صحة العقد والالتزام .

هذا ، ولنذكر بين يدى ذلك كله هذه الآية والأحاديث التالية :

١ — يقول الله تعالى (سورة المائدة م ٥ — ٢) : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

٢ — وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه ممن يتخذه خمرا ، فقد تقحم النار على بصيرة[1] » .

٣ — وعن عمران بن حصين ، قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع السلاح فى الفتنة[2] »

٤ — وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمول إليه[3] » .

فإذا رجعنا للاية التى ذكرناها ، نعرف أن الله يأمر بالتعاون على الخير وينهى عن التعاون فيما فيه إثم ومعصية . ولا شك فى أن فى البيع والشراء تعاونا على حصول المشترى على ما هو بحاجة إليه من السلع ، وتعاونا على حصول البائع على ثمن ما يبيع . فإذا كان فى هذه العملية تعاون على المعصية والشر كان ذلك منهيا عنه شرعا ، وكان العقد قد فقد شرط من شروط صحته وهو وجود سبب يصح ابتغاؤه شرعا منه ، فلا يكون العقد نفسه مشروعا .

ذلك ، بأن السبب يمكن تعريفه بأنه « الغرض المباشر المقصود فى العقد » ، وهذا التعريف نأخذه من كلام الأصوليين عن السبب أو الغرض أو القصد . « وقد تظاهرت أدلة الشرع وقواعده على أن القصود فى العقود معتبرة ، وأنها تؤثر فى صحة العقد وفساده وفى حله وحرمته . بل أبلغ من ذلك ، وهى أنها تؤثر فى الفعل الذى ليس بعقد تحليلا وتحريما ؛ فيصير حلالا تارة وحراماً أخرى باختلاف النية والقصد ، كما يصير صحيحاً تارة وفاسداً أخرى ، باختلافها ، وهذا كالذبح ، فإن الحيوان يحل إذا ذبح لأجل الأكل ويحرم إذا ذبح لغير الله ... وكذلك صورة القرض وبيع الدرهم بالدرهم إلى أجل ، صورتهما واحدة ، وهذا قربة صحيحة وهذا معصية باطلة بالقصد » ... إلى آخر ما قال ابن القيم[4] .

---

(١) رواه الطبرانى وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ، انظر سبل السلام ج ٣ : ٣٦

(٢) البيهقى ، ج ٥ : ٣٢٧

(٣) البيهقى ، ج ٥ : ٣٢٧ ؛ نيل الأوطار ، ج ٥ : ١٥٤ باختلاف يسير .

(٤) إعلام الموقعين ، ج ٣ : ٩٦ وقد ضرب أيضاً لذلك مثلا أخرى ، منها اتخاذ عصير العنب خمرا وبيع السلاح لمن يعرف أنه يقتل به مسلما

ولنا أن نقول بعد هذا ، إنه لا بد لكل تصرف أو عقد من سبب يجب قصده ، و « إن كل تصرف لا يترتب عليه مقصوده لا يشرع » كما يقول القرافى(١) أو كما يقول فى موضع آخر(٢) : « إن كل تصرف كان من العقود كالبيع أو غير العقود كالتعزيرات ، وهو لا يحصل مقصوده فإنه لا يشرع ويبطل إن وقع ؛ فلذلك امتنع بيع الحر وأم الولد ونكاح المحرم وذوات المحرم ، فإن مقاصد هذه العقود لا تحصل بها ، وكذلك الإجارة على الأفعال المحرمة . . . والمقصود من البيع ونحوه ، إنما هو انتفاع كل واحد من المتعاوضين بما يصير إليه ؛ فإذا كان عديم المنفعة أو محرما لم يحصل مقصوده ، فيبطل عقده والمعاوضة عليه .

وفى الأحاديث التى ذكرناها بعد الآية ، نجد النهى الشديد عن الخمر وكل ما يتصل بها ، والوعيد الأكيد لمن يبيع عصير العنب ممن يتخذه خمرا ، وكذلك النهى عن بيع السلاح ممن يعلم أنه يقاتل به المسلمين ، وأهل الذمة الذين تشملهم رعاية الإسلام . إن عصير العنب مثله مثل عصير الفواكه الأخرى ، غذاء نافع للجسم ، ولكنه يصير أذى إذا صار خمرا ، فبيعه للخمار عقد غير صحيح لأن سببه غير مشروع وكذلك السلاح يباح استعماله للدفاع عن النفس أو الدين أو الوطن ، فإذا بيع لقاطع طريق مثلا كان عقداً غير صحيح أيضا لأن سببه لا يجيزه الشرع .

على أن هذا إجمال لا يستغنى عن التفصيل ، فإن فى المسألة خلافاً كبيراً بين الفقهاء ولكل منهم وجهة نظر فيما ذهب إليه . فأبو حنيفة والشافعى يريان صحة العقد ، وإن قصد منه تحقيق غرض غير مشروع ، ما دام تحقق فيه ركنه وهو الإيجاب والقبول وتوفرت فيه شروط الصحة الأخرى . ويقولان إن نية الغرض غير المباح أمر مستتر ، فيترك لله يعاقب عليه إن كان هو السبب الحقيقى للعقد . وقد ضرب الشافعى نفسه ، وكذلك الإمام الطحاوى من الفقهاء الأحناف ، المثل لذلك ببيع عصير الخمر لمن يخاف أن يتخذه خمراً ، وبيع آلات الحرب لمن يقاتل بها المسلمين ، وزواج الرجل امرأة وهو لا ينوى ألا يمسكها إلا يوماً أو أقل(٣) .

على حين نجد فقهاء آخرين ، وبخاصة الحنابلة ، يرون بحق أن هذه العقود ونحوها فاسدة باطلة ؛ لأن أسبابها غير صحيحة شرعاً ، ولأن العبرة فى العقود بمقصود العاقدين فمتى قام الدليل على العقد الآثم شرعاً كان باطلا بلا ريب .

---

(١) الفروق ج ٣ : ١٧١ (٢) نفسه ، ص ٢٥٤

(٣) راجع مثلا ، مختصر الطحاوى ، ص ٢٨٠ ؛ كتاب الأم للشافعى ، ج ٣ : ٦٥ ؛ نهاية المحتاج للرملى الشافعى ، ج ٣ : ٧٣ — ٧٤ .

ومن هؤلاء الفقهاء غير الحنابلة ، نجد صاحبى أبى حنيفة : أبا يوسف ومحمد بن الحسن ومن الحنابلة ، نجد ابن قدامة المقدسى إذ يقول : « بأن بيع العصير لمن يعتقد أنه يتخذه خمراً محرم . . . إذا ثبت هذا ، فإنما يحرم البيع ويبطل إذا علم قصد المشترى بذلك ؛ إما بقوله ، وإما بقرائن مختصة به . فإن كان محتملا ، مثل أن يشتريه من لا يعلم حاله أو من يعمل الخمر والخل معاً ولم يلفظ بما يدل على إرادة الخمر ، فالبيع جائز » . ثم يقول : « وهكذا الحكم فى كل ما يقصد به الحرام ؛ كبيع السلاح لأهل الحرب أو لقطاع الطريق أو فى الفتنة ، وبيع الأمة للغناء أو إجارتها على ذلك ، أو إجارة داره لبيع الخمر فيها ، وأشباه ذلك . فهذا حرام ، والعقد باطل لما قدمناه[1] » .

الإشهاد :

هذا هو الشرط الأخير من الشروط التى رأينا ضرورة الكلام عليها ، وفى هذا ورد قوله تعالى (سورة البقرة المدنية : ٢٨٢) : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء » ، إلى قوله : « وأشهدوا إذا تبايعتم » .

وقد نزلت هذه الآية التى منها هذه الكلمات الكريمة ، وهى أطول آية فى كتاب الله عزّ وجل ، فى عقد السَّلَم كما قيل ، وإن كانت آية عامة يشمل ما فيها من أحكام وأوامر للوجوب أو الندب كل عقود المداينات ؛ مثل عقد الإجارة التى تكون الأجرة فيها ديناً مؤجلا ، وعقد الزواج وفيه يكون كذلك بعض المهر مؤجلا حسب العرف والعادة ؛ وهكذا سائر العقود التى يكون فيها أحد البدلين مؤجلا ، سواء كان ذلك الدين بدلا من منافع أو أعيان[2] » .

ويقتضى الكلام على هذه الآية التعرض لها من ناحية أنها آية محكمة لا نسخ فيها أو أن النسخ قد دخلها . ثم ، هل الأمر بالإشهاد هو للوجوب فلا يصح العقد إلا به ، أو هو مندوب إليه فيكون الأمر للارشاد لا للوجوب .

فمن الناحية الأولى نجد طائفة من العلماء قد ذهبوا إلى أن كتابة الدين والإشهاد عليه كانا واجبين ، ثم نسخ هذا الوجوب بقوله تعالى فى الآية نفسها من بعد الأمر بالكتابة

---

(١) المغنى ، جـ ٤ : ٢٢٢ — ٢٢٣ . وانظر أيضاً فى الخلاف فى هذه المسألة ، سبل السلام جـ ٣ : ٣٦ — ٣٧ ؛ نيل الأوطار ، جـ ٥ : ١٥٤

(٢) راجع أحكام القرآن للجصاص ، جـ ١ : ٤٨٢ — ٤٨٤ .

والإشهاد : « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى أوتمن أمانته » ، أى لا ضرورة للكتابة والإشهاد ، ولكن على من ترك الدين أمانة لديه أن يؤديه متى حل أجله[١] .

وبجانب هذه الطائفة ، ذهب آخرون إلى أنه لا نسخ فى الآية ، ومنهم ابن عباس رضى الله عنه الذى كان يقول : « لا ، والله ! إن آية الدين محكمة وما فيها نسخ » ، وإلى هذا يميل أبو بكر الجصاص[٢] .

وفى ناحية أن الأمر بالإشهاد للندب أو الوجوب ، نرى بعض العلماء يذهب إلى أنه للوجوب فى الكبير أو الصغير من الأشياء ، ومن هؤلاء عطاء وإبراهيم النخعى اللذان كانا يريان وجوب الإشهاد فى كل شىء ولو حزمة بقل . وممن ذهب إلى ذلك ورجحه أبو جعفر الطبرى ، فقد كان يقول : لا يحل لمسلم إذا باع وإذا اشترى إلا أن يشهد ، وإلا كان مخالفاً لكتاب الله عز وجل ؛ وكذلك إن كان إلى أجل ، فعليه أن يكتب ويشهد إن وجد كاتباً[٣] .

على حين ذهب جمهرة الفقهاء ، بل كافتهم كما يذكر ابن العربى ، إلى أن هذا الأمر للندب والإرشاد ليس غير ، ولا يمكن أن يكون للوجوب بحال ؛ وإلا لكان أكثر البيوع والعقود من لدن الرسول إلى اليوم غير صحيحة شرعاً ، ثم ، وإلا وقع الناس فى كثير من المشقة والحرج . فمن الثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم باع ولم يشهد ، واشترى ورهن درعه عند يهودى ولم يشهد ؛ ولو كان الإشهاد أمراً واجباً ، لوجب مع الرهن لخوف المنازعة كما يقول القرطبى . وكذلك قد تناقلت الأمة ، منذ أقدم العصور حتى اليوم ، عقود البيع ونحوها من غير إشهاد ، مع علم فقهائهم بذلك من غير نكير عليهم ، وهذا معناه أنهم رأوه مندوباً إليه لا واجباً ، وإذاً تكون الكتابة والإشهاد غير واجبين[٤]

ونحن من جانبنا نرى أن هذا استدلال جيد لما ذهب إليه كافة الفقهاء من أن الإشهاد غير شرط لصحة العقد ، بيعا أو غير بيع ، وذلك تيسيراً على الناس فى معاملاتهم

---

(١) نفس المرجع : ٤٨١ ؛ الناسخ والمنسوخ لأبى القاسم هبة الله بن سلامة ، ص ٩٨ .

(٢) الجصاص ، جـ ١ : ٤٨٢ ؛ القرطبى ، جـ ١ : ٤٠٣ — ٤٠٤ .

(٣) القرطبى ، جـ ١ : ٤٠٢ وما بعدها ، الجصاص ، جـ ١ : ٤٨١ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربى ، جـ ١ : ١٠٩ ، وراجع أيضاً القرطبى ، جـ ١ : ٤٠٣ ، الجصاص ، جـ ١ : ٤٨٢ ، وانظر أيضاً ص ٥٢١ — ٥٢٢

وبخاصة والله تعالى يقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » على أننا نحب أن نشير هنا إلى ما يشترطه القانون الوضعى من ضرورة الإشهاد والتسجيل والإشهاد فى عقود بيع وشراء العقارات ، وهو احتياط طيب من مخاطر عديدة على ما نرى .

* * *

وبعد ! هذه هى الشروط التى يجب أن تتوفر فى عقد البيع ، ما عدا شرط الإشهاد ليكون العقد صحيحاً شرعاً . ومن ذلك نعرف أن كل عقد بيع لم تتوفر فيه جميعها ، إلا ما كان موضع خلاف منها ، لا يكون صحيحاً فى نظر الفقه الإسلامى المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله . وفيما يلى من الحديث تفصيل القول من الناحية التطبيقية ، ولا سيما فيما يتصل بالعقود التى تجرى فى الأسواق الرسمية الحالية إن شاء الله تعالى ؟

« الحديث موصول »



أدب . . .

قال رجل لأبى بكر رضى الله عنه : والله لأسبنك سباً يدخل القبر معك

فقال أبو بكر : معك لا معى .

التشريع الجنائى الإسلامى

السرقة

الركن الأول : الأخذ خفية

(٧)

الأخذ بالتسبب : — معناه أن لا يباشر السارق إخراج المسروقات من الحرز بنفسه ، وإنما يؤدى فعله إلى إخراج المسروقات بطريق غير مباشر ؛ مثل أن يضع المسروق على ظهر دابة ويسوقها فتخرج به من الحرز أو يلقى ، بالمسروق فى ماء جار إلى خارج المنزل فيخرجه التيار أو يرميه فى ماء راكد ثم يفتح مجرى الماء ، أو يعرض المسروق لريح هابة فتحمله إلى الخارج ، أو يربطه على طائر ثم يطلقه فينطلق به إلى الخارج ، أو يأمر صغيراً أو معتوهاً بإخراج المسروق فيخرجه ، أو أن يستتبع سخل شاة أو فصيل ناقة أو غيرهما ؛ مثل أن يشترى الأم والسخل على ملك الغير فى حرز فيأتى بالأم إلى مكان السخل فإذا رآها تبعها وكذلك العكس نحو أن يأتى فى مكان أمه وهى فى حرز مالكها حتى تستتبع الأم سخلها ، أو أن يشير لشاة فى الحرز بالعلف حتى تخرج إليه فيأخذها (١) .

والأخذ بالتسبب كالأخذ المباشر عقوبته القطع بشرط أن تتم شروط الأخذ خفية ، فيخرج المسروق من حرزه ومن حيازة المجنى عليه ويدخل فى حيازة الجانى .

ويراعى فى الأخذ بالتسبب ما سبق ذكره من وجوه الخلاف بين الفقهاء وعلى الأخص نظرية أبى حنيفة فى هتك الحرز هتكا متكاملا ونظريته فى اليد المعترضة ، فمثلا فى حالة استتباع السخل أو الفصيل يرى أبو حنيفة أن الأخذ غير تام لأن الجانى لم يهتك الحرز هتكا متكاملا ، ويخالفه أبو يوسف فى هذا ويرى كما يرى فقهاء المذاهب الأخرى بأن الأخذ تام . وفى حالة وضع المسروق فى ماء جار وعثور آخر

---

(١) كشاف القناع ج ٤ ص ٨٠ — نهاية المحتاج ج ٧ ص ٤٣٧ — أسنى المطالب ج ٤ ص ١٤٨ شرح الأزهار ج ٤ ص ٣٦٧ مواهب الجليل ج ٦ ص ٣٠٨ — شرح فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٣

والاختلاس كما قلنا من قبل نوع من السرقة لا يشترط فيه العلم ، ويشترط فيه عدم الرضاء فقط ، وعقوبته التعزير لا القطع .

والاختلاس فى الشريعة يتفق فى شروطه وأحكامه مع شروط وأحكام جريمة السرقة فى قانونى العقوبات المصرى والفرنسى .

ولا يعتبر الفعل سرقة إذا تسلم الجانى المبيع على أن يدفع ثمنه فوراً فأخذه وهرب ، أو إذا تسلم ورقة مالية أو قطعة نقود كبيرة ليصرفها نقودا صغيرة فأخذها وهرب ، والمانع من اعتبار الفعل سرقة هو التسليم لأن فى التسليم علم المجنى عليه بالأخذ ، والعلم يمنع من تكون ركن الأخذ خفية . وإذا كان الفعل لا يعتبر سرقة فمن الممكن أن يعتبر اختلاسا طبقا لقواعد الشريعة .

وإذا كان التسليم ممن لا شعور له أو اختيار كسكران أو مجنون أو طفل غير مميز فإنه يمنع أيضا من تكون ركن الأخذ خفية لأن فقد الشعور والاختيار إذا كان يمنع من حصول التسليم اختيارا فإنه لا يمنع غالبا من العلم بحصول التسليم وإذا توفر العلم بالأخذ انعدم أحد أركان السرقة وهو الأخذ خفية . وحتى إذا أمكن القول بأن علم الصغير والمجنون والسكران غير معتبر فإن هذا العلم غير المعتبر يكون شبهة تدرأ الحد فلا يُقطع الجانى ويكتفى فى عقابه بالتعزير .

وتمكين الجانى من الشىء أو السماح له بدخول محل المسروق فى حكم تسليم الشىء المسروق إلى الجانى ؛ فالسرقة التى تقع من العمال والخدم والنزلاء وما أشبه لا قطع فيها إذا كانت السرقة واقعة على شىء فى المحل الذى يعمل فيه الخادم أو العامل أو يدخله النزيل أو فى المحلات المصرح لهم بدخولها لأن الإذن للعامل والخادم والنزيل بدخول المحل يبطل الحرز فيكون الأخذ أخذا من غير حرز ، ومن ثم لا تتم شروط الأخذ خفية ، وتكون السرقة سرقة مال غير محرز ولا قطع فى هذه السرقة وإنما فيها التعزير .

وإذا أخذ المكلف بنقل الأشياء بعض ما كلف بنقله فعمله لا يعتبر سرقة فى الشريعة وإنما يعتبر تبديداً لأنه تسلم الشىء بمقتضى عقد من عقود الأمانة ، وإذا فرض أنه تسلمه بغير عقد فإن التسليم فى ذاته يمنع من تكون ركن الأخذ خفية لأن التسليم يقتضى العلم بالأخذ وشرط الأخذ خفية أن يتم دون علم ورضاء المجنى عليه فالعقوبة إذن على أى فرض هى عقوبة التعزير .

أخذ الجائع والمضطر : ويشترط ليكون الأخذ تاما يقطع فيه أن لا يكون فى مجاعة ولا قحط ولا تحت تأثيرهما لأن الضروة تبيح التناول من مال الغير بقدر الحاجة ؛ فإذا

بين الشريعة والقانون : وما يشترط فى الشريعة من أن ينقل الآخذ الحيازة كاملة بعنصريها المادى والمعنوى هو نفس النظرية التى قال بها جارسون الشارح الفرنسى لتحديد الأفعال التى تعتبر سرقة، فهو يفرق بين الحيازة الكاملة التى تشمل الركن المادى والركن المعنوى للحيازة وهى حيازة المالك ؛ وبين الحيازة المؤقتة التى تشمل الركن المادى فقط كحيازة المستأجر والمرتهن والمستعير ، كما يفرق بين هذين النوعين من الحيازة وبين اليد العارضة التى لا تمنح صاحبها أى حق أو سلطة على الشىء .

ويعرف جارسون الاختلاس وهو الفعل المادى المكون للسرقة بأنه الاستيلاء على حيازة الشىء الكاملة أو هو اغتيال الحيازة بركنيها المادى والمعنوى .

فالنظرية التى وصل إليها الفقه والقضاء أخيراً ؛ وتولى تنظيمها وشرحها جارسون هى نظرية الفقه الإسلامى .

التسليم ينفى الأخذ خفية : وواضح من كل ماسبق أن التسليم يمنع من القول بأن الشىء أخذ خفية لأن الأخذ خفية يقتضى أن يؤخذ الشىء من يد المجنى عليه أو من يمثله دون علمه ودون رضاه معاً ، والتسليم يجعل المجنى عليه عالماً بأخذ الشىء سواء توفر الرضاء أو انعدم .

ويستوى أن يكون المجنى عليه راضيا بالتسليم أو مكرها عليه فالفعل فى الحالين ليس سرقة ؛ ذلك أنه فى حالة الرضاء ينتفى الأخذ خفية دون شك ، أما فى حالة الإكراه فيكون الفعل حرابة إذا توفرت بقية أركان جريمة الحرابة ومما يميز الحرابة عن السرقة أن الحرابة لا يشترط فيها الأخذ خفية وإنما يكون الأخذ فيها مغالبة .

والتسليم يمنع من توفر ركن الأخذ خفية سواء نقل التسليم الحيازة كاملة أو ناقصة أو ترتب عليه تمكين الجانى من الشىء أو منحه سلطة عليه كحالة الطباخ مثلا تسلم إليه أدوات المطبخ لاستعمالها .

ويستوى أن يكون التسليم ناشئا عن خطأ أو عن غش أو قصد به مجرد تمكين الجانى من الاطلاع على الشىء المسروق أو التفرج عليه أو فحصه ففى هذه الحالات جميعا يمنع التسليم من اعتبار الشىء مأخوذا خفية لأن الأخذ خفية يجب أن يكون بغير علم المجنى عليه وبغير رضاه معا .

وإذا كان لا يمكن اعتبار الشىء الذى سلم للجانى للفحص والتفرج والاطلاع مسروقا طبقا للشريعة الإسلامية فإن هذا الشىء يعتبر مختلسا طبقا للشريعة .

عليه وأخذه يرى أبو حنيفة فى هذه الحالة والحالات المشابهة أن الأخذ غير تام لأن يداً اعترضت يد السارق وهذا تطبيق لنظريته فى اليد المعترضة .

الأخذ خفية ونقل الحيازة : ويشترط فى الأخذ خفية أن ينقل دون حق الحيازة كاملة من المجنى عليه للجانى : أى أن ينقل الحيازة بعنصريها المادى والمعنوى : عنصر اليد وعنصر الملك فإن نقل أحد العنصرين دون الآخر ولو بغير حق ، فلا يعتبر الفعل سرقة ؛ فالمعير الذى يأخذ متاعه خفية عن المستعير ، والمؤجر الذى يأخذ متاعه خفية عن المستأجر ، والأصيل الذى يأخذ متاعه خفية عن الوكيل ، والمودع الذى يأخذ متاعه خفية عن المودع لديه ، والراهن الذى يأخذ متاعه المرهون خفية عن المرتهن ، والمشترى الذى يأخذ المبيع خفية من البائع ، ولو أن ميعاد التسليم لم يحل بعد ، أو يأخذه قبل تسلم الثمن أو فى زمن الخيار ، والموهوب له الذى يأخذ ما وهب له فى خفية عن الواهب ، والمستأجر والمرتهن أو المودع لديه أو المستعير الذى يأخذ الشىء المؤجر أو المرهون أو المودع أو المعار فى خفية عن المالك ؛ كل هؤلاء لا يعتبر أحدهم آخذاً خفية لأن أخذه لا ينقل إلا أحد عنصرى الحيازة فقط[1] .

ويشترط فى الأخذ خفية أن يكون الشىء المسروق فى يد المجنى عليه أو أى شخص آخر يقوم مقامه كالمستأجر والمستعير ، كما يشترط أن لا يكون فى يد الجانى ولا تحت سلطانه ، فإن كان الشىء فى يد الجانى أو تحت سلطانه من قبل فلا يعتبر الفعل سرقة ، لأن السرقة تقتضى الأخذ خفية ، والأخذ خفية لا يكون إلا من يد المجنى عليه أو من يمثله .

ولا يعتبر الجانى آخذاً خفية إذا كان يمثل المجنى عليه فى حيازة الشىء أو كان المجنى عليه قد مكنه من الشىء ومنحه سلطة عليه ؛ ولهذا لا يعتبر الوكيل سارقاً لأنه يمثل المجنى عليه ، ولا يعتبر الخادم سارقاً لما وضع فى يده أو مكن منه ومنح سلطة عليه .

ويشترط فى المسروق أن يكون مما هو خالص لغير السارق : أى ليس للسارق فيه ملك ولا حق ، بل المستحق له غيره ؛ إما يملكه رقبة ومنفعة ، وإما يملك رقبته أو يستحق منفعته .

---

(١) مواهب الجليل ج ٦ ص ٣٠٧ — شرح الزرقانى ج ٨ ص ٩٧ — أسنى المطالب ج ٤ ص ١٣٨ — كشاف القناع ج ٤ ص ٧٧ ، ٧٩ — المغنى ج ١٠ ص ٢٧٧ — شرح الأزهار ج ٤ ص ٣٦٥ .

سرق المحتاج ما يأكله فلا قطع عليه لأنه كالمضطر ، وقد روى عن مكحول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا قطع فى مجاعة مضطر » .

ويشترط فى الآخذ مضطراً أن لا يجد ما يشتريه أو أن لا يجد ما يشترى به وأن لا يأخذ أكثر من حاجته، فأما الواجد ما يأكله أو الواجد لما يشتريه أو يشترى به فعليه القطع وإن كان بالثمن الغالى(١)

والقاعدة فى الشريعة أن للمضطر أن يأخذ ما يقيم حياته من غيره إذا لم يكن الغير فى حاجة إليه ليقيم به حياته هو ، وإذا احتاج الأمر إلى أن يقاتل المضطر فى سبيل الحصول على ما يقيم حياته قاتل عليه ، فان قتل المضطر فقاتله مسئول جنائياً عن قتله ولا يعتبر فى حالة دفاع ، وإن قتله المضطر فهو هدر لأنه ظالم بقتاله المضطر .

ولكن ليس للمضطر أن يسرق شيئاً أو أن يقاتل على شيء كلما استطاع أن يأخذه بشراء أو استرضاء مهما تغالى صاحب الشيء فى الثمن لأن للمضطر لا يلزمه شرعا إلا ثمن المثل(٢)

الأخذ فى دار الحرب والبغى : ويشترط أبو حنيفة ليكون الأخذ تاما يقطع فيه أن يكون الأخذ فى دار العدل فلا قطع عنده على من سرق فى دار الحرب أو دار البغى ولو كان المجنى عليه والجانى من أهل دار العدل لأن السرقة تقع فى مكان لا ولاية للامام عليه ، والقضاء بالعقوبة يقتضى الولاية على مكان الجريمة ، ومن ثم لا تنعقد السرقة فى دار الحرب أو دار البغى سبباً لوجوب القطع(٣) .

ويتفق مذهب الشيعة الزيدية مع مذهب أبى حنيفة فى هذه المسألة(٤) .

أما بقية الفقهاء فيرون قطع يد السارق على السرقة إذا توافرت شروطها سواء وقعت فى دار العدل أو فى دار الحرب والبغى(٥)

أخذ المستأمن : ويرى أبو حنيفة ومحمد أن لا يقطع الحربى المستأمن فى سرقة مال المسلم أو الذمى لأنه أخذه على اعتقاد الإباحة ولأنه بدخول أرض الإسلام لم يلتزم أحكام الإسلام . أما أبو يوسف فيرى القطع(٦)

---

(١) المهذب ج ٢ ص ٢٩٩ — كشاف القناع ج ٤ ص ٨٣ — المغنى ج ١٠ ص ٢٨٨ — المحلى ج ١١ ص ٣٤٣

(٢) المغنى ج ١١ ص ٨٠ — أسنى المطالب ج ١ ص ٥٧٢ — مواهب الجليل ج ٣ ص ٢٣٤ حاشية ابن عابدين ج ٥ ص ٢٩٦

(٣) بدائع الصنائع ج ٧ ص ٨٠

(٤) شرح الأزهار ج ٤ ص ٣٣٤ وص ٥٠٢ .

(٥) مواهب الجليل ج ٣ ص ٣٥٥ ، ٣٦٥ — المدونة ج ١٦ ص ٩١ — المهذب ج ٢ ص ٣٥٨ — المغنى ج ١٠ ص ٤٣٩ ، ٥٣٧ المحلى ج ١٠ ص ٣٦٠ وما بعدها

(٦) بدائع الصنائع ج ٧ ص ٧١

وبرى مالك قطع المستأمن وكل معاهد سرق فى دار الإسلام وحجته أن حد القطع لله (١) .

وفى مذهب الشافعى وأحمد ثلاثة آراء : أحدها وهو المرجوح يتفق مع رأى أبى حنيفة ، والثانى وهو الراجح يتفق مع رأى مالك ، والثالث يرى أصحابه أنه إذا اشترط أن يلتزم أحكام الإسلام حال إقامته فى دار الإسلام يقطع فى السرقة (٢) .
على أن القائلين بعدم قطع المستأمن إذا سرق من مسلم أو ذمى يسلمون بأن المسلم والذمى لا يقطع أحدهما إذا سرق من مستأمن (٣)



« إياك وعزة الغضب ، فإنها تصيرك إلى ذل الاعتذار » .

« مثل عربى »

(١) مواهب الجليل جـ ٦ ص ٣١٢ — المدونة جـ ١٦ ص ٧٥
(٢) المغنى جـ ١٠ ص ٢٧٦ ، كشاف القناع جـ ٤ ص ٨٥ نهاية المحتاج جـ ٧ ص ٤٤٠
(٣) أسنى المطالب جـ ٤ ص ١٥٠ — نهاية المحتاج جـ ٧ ص ٤٤٠

سبحات فكر

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

سفير مصر بالباكستان

أضرت الإنسان الحضارة

يا أسير المدر الحَجِر وحبيس الدور والحُجر، حجبت عنك الهواء والضياء، وقطعتك عن آفاق السماء وأعلت حسك ووجدانك، وفلت حدك وأسنانك. أيها الفكر الداحن، والعزم الآسن؛ اخرج إلى سعة الفضاء، بين الأرض والسماء. وانطلق مع الرياح، كل مساء وصباح. وانظر إلى الشمس فى مطالعها ومغاربها، وإلى النجوم فى حبكها ومساربها. واصحب الخليقة فى سهلها ووعرها، وتحرش بها فى قرها وحرها. واشحذ حسك وقلبك وذكاءك وهمك وعزمك ومضاءك. وعش فيها قوياً طليقاً، من رق الحضارة عتيقاً.

أيا قابعاً فى الدرى لا يريم   يعيش من الكون فى خاتم
حباك الإله المراد الفسيح   ففر إلى فسحة العالم

* * *

كونوا قوامين بالقسط

يا من ضل وغوى، واتخذ إلاهه الهوى! يعد على الناس العيوب، ويحصى عليهم الذنوب. وهو مبرأ من كل عيب، وما فى كماله ريب! الحق ما فيه هواه، والباطل ما خالف دعواه. أنت يا مسكين، كما فى الكتاب المبين: «إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون».

احكم بالقسطاس بينك وبين الناس. واعرف الحق لخصمك وعداك، واعترف به على نفسك ومولاك. والزمه دون شطط، فى المكره والمنشط.

يا جاعلا إلاهه من هوى   وعابداً أصنامه من معشر دهم
الحق فالزمه وحرر به   نفسك من أسر الهوى والصنم

* * *

العقل والعشق (١)

عقلك نجم ولكن خناس ، وإمام ولكن وسواس . ودليل يذرع الأرض ، ويقيس الطول والعرض ، ويغور وينجد ، ويجور ويقصد ، وناظر يحملق فى الدقائق ويبرق فى نور الحقائق ، وتاجر يحسب نفعاً وضراً ، وربحاً وخسراً ، وقائد هياب ، لا يقدم إلا بحساب .

والعشق يطوى الأقطار خفقه ، ويحرق الآفاق برقه ، ويقدم غير ناكب ، لا يبالى العواقب ، لا يعد المراحل ، ولا يعرج على المنازل . يجمع الطريق والغاية ، والبدء والنهاية . رأيت الحياة بهداه ، وبه عرفت الله .

العقل يهـديك الطريق تلمساً ويكل فيها شـبره وذراعه
والعشـق يمضى فى وميض بروقه يطوى العوالم خفقه وشـعاعه

* * *

الحق لا يزول ولا يحول

الأيام دول ، والزمان حول . والأوقات غير ، والساعات عبر . والناس فى صعود ومنحدر ، كأنهم فى أرجوحة القدر ، إلا أنصار الحق الأخيار ، وأعوان الخير الأبرار .

كل سلطان زائل ، وكل حال حائل .

أولئك دولتهم بالحق قائمة ، وبالخير دائمة ، والحق لا يزول ، والخير لا يحول . لا يرفعهم النصب والمال ، ولا يخفضهم الاعتزال والإقلال . ولا تتداولهم الأعراض ، تبدّلهم فى الأغراض . هم على الصراط سائرون ، وعن الباطل ناكبون .

إنما الحق فى الحياة طريق لا حب ليس يختشى ضلاله
ومن الغىّ كل حين طريق حائر القصد ، هالك ضُـلّاله

(١) العشق عند الصوفية الوجدان وما يتصل به .

الإسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى

(٢)

فكرة الدولة فى الإسلام

يقول الكافرون من علماء السياسة والعلوم الدولية فى بلاد الغرب ، إن العالم بنظمه الحديثة مدين للمسيحية ، وأما الشعوب غير المسيحية فإنها شعوب همجية خارجة على الجماعة الدولية ، وبسبب هذه العقيدة الفاسدة استباحوا لأنفسهم أن يفرضوا بالحديد والنار جرائمهم الاستعمارية فى أشكال متنوعة : من حماية ووصاية وانتداب وضم ، وما إلى ذلك مما ترحب به عدالتهم الدولية ، التى تعتبر الأمم المغلوبة على أمرها جماعات متخلفة ، لاتصلح للاندماج فى ركب الحضارة ؛ فما عليها إلا الطاعة ، ولغيرها العزة والجاه والسلطان !

أفما آن للمسلمين أن يقوموا قومة رجل واحد ، ليهدموا تلك الأباطيل من أساسها ، ويبينوا لهذا العالم الضال أن الإسلام دين ودولة ، وأنه وضع للحياة الدولية قواعد ومبادىء ، لايسمو إليها العقل البشرى بما وصل إليه فى آخر مراحل التفكير الدولى ، وإن كان ثمة بصيص من نور هداهم إلى سواء السبيل ؛ فالمصدر الحقيقى هو شريعة محمد ابن عبد الله ، هادم الأوثان ، ومنقذ بنى آدم من قانون الغابة وتجارة صكوك الغفران ؟ ولو أن الذين كفروا بأنعم الله ، درسوا الإسلام دراسة منزهة عن الهوى ، فى جو لاسلطان للثقافة الكنيسية عليه ، فتبددت ظلمات قلوبهم ، لعرفوا أسباب النقص فى المواثيق الدولية ؛ فسدوا الثغرات بهدى من قواعد الإسلام ، وكفلوا الأمن والسكينة فى ربوع الأرض !!

للدولة — فيما يراه هؤلاء — عناصر لاتقوم إلا بها ، وهذه العناصر هى :

١ — مشاركة دائمة بين عدد كبير من الناس ، تربطهم وحدة المصلحة ووحدة المشاعر والآمال ، وأولئك هم الشعب أو الأمة .

٢ — يتمتع هذا العدد من الناس بوجود سياسى منظم

٣ — رقعة من الأرض تتسع للشعب مهما كثر عدده وطال عليه الزمان ، وهذه الرقعة هى الوطن .

٤ — سلطة عليا تباشر شئون الحكم ، فوق تلك الرقعة من أرض الله .

فهل كان ذلك معروفا فى الإسلام ؟ ! أم هل كانت الدولة الإسلامية تفتقد ركنا من تلك الأركان ؟ !

قال الله تعالى فى محكم كتابه : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ؛ إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

هذا هو القانون الطبيعى للدولة ، وضعه الرحمن فى صيغة رائعة موجزة ، وبكلمات معجزة ، لا يصلون لمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ؛ فنواة الدولة هى الأسرة التى تخرج من ذكر وأنثى ، وتتعدد الأسر فتصبح شعوباً وقبائل ، أساس العلاقات بينها التعارف : أى التعاون على الخير ، لا على الإثم والعدوان ، وصمام الأمن فى داخل القبيلة أو الشعب ، وفى علاقاتها التى تسمى حديثاً بالعلاقات الدولية ، قوله الحق «إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وهنا نقف قليلا لنتفهم هذا الإبداع فى التقنين ، والسر فى ذلك الترتيب المحكم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ونجد أنفسنا أمام نظرية دولية جديدة فى أوروبا وأمريكا ، قديمة وسرمدية فى الإسلام ، وهى نظرية حقوق الإنسان ، أو ما يسمونه بالحقوق اللصيقة بالفرد ، تلك الحقوق التى ولدت معه ولا تموت أبداً .

إن الدولة فى القانون وسيلة لا غاية ، نعم ، هى نظام يراد به رعاية صوالح الأفراد عامة ؛ فالفرد هو قوام الدولة ، ومن أجله وجدت ، ولذلك ترنمت أوروبا منـــذ قيام الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٨٩ بحقوق الإنسان ، وأدركت بعد ثمانية عشر قرنا من ميـــلاد المسيح أن الإنسان ولد حراً ، ليعيش حراً ، وعلى الرغم من أنها لم تقرر هذا المبدأ ، إلا بعد أن سالت الدماء أنهاراً ، لم تتحرر من الوثنية جملة، فبقى السطو والعدوان على حقوق الغير شهوة استبدت بها فى مضمار العدالة الدولية دائماً وأبداً ، فسلطت حملاتها الاستعمارية وأذكت نيران الحروب المدمرة ، مما يقطع فى الدلالة على أن معنى الحرية لم يستقر فى العقل السياسى الغربى ، حتى كتابة هذه السطور .

وأخيراً ، اجتمعت الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى باريس فى المدة من سبتمبر إلى ديسمبر سنة ١٩٤٨ ، لتناقش الوثيقة العالمية لحقوق الإنسان ، بزعم أنها سترسى عليها قواعد الحياة الدولية ، وبعد إجراءات معقدة وجدل لا طائل تحته ، وافقت الهيئة على هذا الإعلان فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ، ووقع الميثاق الدولى المقول إنه ضمن

حقوق الفرد وحرياته الأساسية ، فى ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، فما هو الجديد الذى جادت به العقلية الدولية ، وراحت تمن به على الناس كافة ؟ !

نقرأ فى الميثاق صيغاً براقة فى ثمان وعشرين مادة ، وها هى الحقوق الأساسية ، التى اعترفوا بها لبنى الإنسان .

أولا — الحقوق الشخصية وتنتظم :

(ا) حق الحياة ، بمعنى أنه لا توجد قوة فى الأرض ، تملك حياة الفرد ، بحيث تنتزعها منه بغير وجه حق ، وقد دفعهم لتقرير هذا المبدأ اتخاذ الحيطة ضد جرائم التعذيب ومصادرة الروح التى ينسبونها إلى النازية فى معاملتها لليهود ؛ فاليهود هم الذين قصدوا بهذه الحماية ،ولكن الأمم المتحدة لم تسألهم عن الفظائع التى ارتكبوها فى فلسطين والتى يتندى لها جبين النازية حياء وخجلا ، ولم يفكر أحد فى أن يسأل فرنسا عما ارتكبت بعد توقيع هذا الميثاق ضد حق الحياة فى تونس ومراكش أو فى الهند الصينية . ولم يوجه هذا السؤال للانجليز عندما هدموا كفر عبده وقتلوا أم صابر وأراقوا دماء النساء والأطفال ،بل وحراس الأمن فى منطقة قناة السويس فى سنة ١٩٥١ وكذلك لا يسألون عما يفعلون فى كينيا ، وفى هذا كل الدلالة على أن الميثاق كفل حق الحياة لبنى إسرائيل وللرجل الأبيض ،وأهدره بالنسبة لشعوب آسيا وأفريقيا ! !

(ب) حق تأمين الشخص الطبيعى الذى فصلته الأحكام الواردة فى المواد ٣ و ٦ و ٩ و ١٢ ، فاعترفت بحرمه المسكن وحرمة الرسائل ، وبألا يقبض على الفرد أو يحبس أو ينفى بغير إثم ، فهل أخطرت فرنسا مثلا مقيمها العام فى تونس ومراكش بمراعاة تلك البنود من وثيقة حقوق الإنسان التى وقعتها ، بل واشتركت فى صياغتها ، أم أن أهل تلك البلاد جردوا من حقوق الإنسان لأنهم مسلمون ؟ !

(ح) حق الحرية ، وما قيل بالنسبة للحقين المتقدمين يمكن أن يقال هنا ! !

حياة وسلام وحرية :

تلك هى الكلمات الرنانة فى الميثاق ، وتغنى عنها كلمة إسلام ، لأنها ليست جملا منقوشة على الورق ، بل هى دين يمتزج بكل قطرة من دم الذين يؤمنون به فيضبط أفعالهم وتصرفاتهم .

ثانيا — حقوق الأسرة : وأخيراً اعترف الميثاق بأن الأسرة هى قوام الدولة ، فاقترب إلى حد ما من المعنى الذى أبرزته الآية الكريمة « يا أيها الناس إنا خلقناكم من

ذكر وأنثى » واستعمل الميثاق العالمى عبارات ركيكة سقيمة ، من قبيل ما يكتبه صغار التلاميذ فى كراسات الإنشاء ، فقال : « إن الرجل يتزوج ، وله أسرة ، وله بيت ، فهو حر فى أن يتزوج ، دون أن يرد على هذه الحرية قيد من الجنس أو القومية أو الدين (المادة ١٦) وهنا دمر الميثاق العصبية التى لاقوام لأمة إلابها ، ومهد لفوضى فى الإنساب لا يعلم مداها إلا علام الغيوب ، واسترسل فتكلم فى المادة ٢٥ عن الأمومة وما لها من حق الرعاية والطفولة وحقها فى التعليم ، ونسى فقهاء (ليك ساكسس) أن القرآن الكريم قد سبقهم بما هو أدق وأمتن ؛ وهل فيما كتبته الأقلام منذ آدم حتى اليوم ماهو أبلغ فى شرح أساس رباط الأسرة ، من قول الخالق جل وتعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » إلى آخر الآية الكريمة .

ثالثا — الحقوق السياسية والعامة : وفى هذا الباب كلام طويل تضمنته المواد ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ فأشارت إلى حرية الفكر والتعبير عنه وحرية الاجتماعات السلمية ، وحرية العقيدة والدين والعبادة ، وحرية الانتخاب .

رابعاً — الحقوق الاجتماعية والاقتصادية : وهذه المجموعة من الحقوق هى مفخرتهم الرابعة ، فما الجديد فى هذا الباب ؟ !

لا شىء بطبيعة الحال . فالميثاق هنا يتكلم عن حق الملكية الفردية والمشتركة ، والحق فى العمل وفى الأجر والراحة والتأمين ضد المرض والشيخوخة والتبطل ... ألخ

ولكن لم تلك الضجة التى أقاموها ، حينما أحرقوا البخور وأوقدوا الشموع ودقوا الطبول عند التوقيع على الميثاق ، وجعلوا يوم مولده عيدا يحتفلون به فى مشارق الأرض ومغاربها ؟ !

إن الميثاق فى ذاته هزيل ومتخاذل ، ولا يساوى الورق الذى كتب عليه لأنه لم يفرض على الدول جزاء إذا خالفته ، وكل ما هنالك أنهم أعطوا لأبواق الدعاية الغربية مادة للسفسطة وتصديع الرءوس بكلام كتبوه وهم له يجحدون ! !

أين هذا الهراء كله من فكرة الدولة كما وردت فى القرآن ؟ ! نحن معهم متفقون فى أن الفرد هو دعامة الدولة الكبرى ، وبالتالى هو قطب الرحى فى العلاقات الدولية فهل استطاعوا حقاً أن يحرروا الفرد من الرق والعبودية والفاقة والعوز ويؤمنوه ضد الخوف ، ويكفلوا له تلك الحقوق المطاطة التى صيغت فى وثيقة عالمية ؟ ! نستطيع أن

ندع مؤقتا نظرياتهم التعصبية ونزعاتهم الاستعمارية ونفوسهم الأمارة بالسوء فى علاقاتهم بالشعوب الملونة ،ونلق نظرة على حياتهم فى داخل بلادهم ، وقد رأينا صورها بأعيننا ، ففزعنا من الهاوية التى نزلوا إليها ،ومن إسرافهم على أنفسهم فى إهدار آدمية الفرد .

فى أوربا ، ولا أقول فى باريس وحدها ، فقد تكون باريس أقل وزراً من غيرها ، فى كل مدينة تقام سوق الأعراض فى الطرق العامة والميادين منذ ساعة الأصيل إلى صباح اليوم التالى ، فتنطلق النسوة ألوفا مؤلفة يتسكعن على الأرصفة ويعرضن أجسادهن لمن يدفع الثمن ، وتهوى الثلوج على رءوسهن ، فيرفعن المظلات والبوليس من حولهن غاد ورائح ، فهل هذا حق الحرية الذى نوهت به الوثيقة العالمية لحقوق الإنسان أم هو الرق المنظم فى أوربا وأمريكا ؟ ! ونسبة اللقطاء فى الإحصاءات تزيد أحيانا على نسبة المولودين من أبوين معروفين ؛ وفى لندن عاصمة الامبراطورية المنهارة محاكم لا عمل لها إلا توقيع الغرامات ضد النسوة اللائى يطاردن الرجال فى الطرق العامة ، وجرائم السطو والنهب وغيرها تكاد لا تحصى ، ولا يمر يوم دون أن تقرأ فى الصحف هناك عن رجال ونساء ينتحرون لأنهم جياع ، فأين هى الحقوق التى كفلوها للأفراد . وأما الخوف فقل فيه ما شئت ، قوامهم مسخرة لصنع آلات الخراب والإبادة بالجملة ، والحروب لهم دواء ، وفى مجتمعهم الصاخب وفى ظل مدنيتهم الحمقاء ، كفروا بالمسيحية نفسها وعبدوا المادة ، وفشت فيهم الشيوعية وغيرها من المبادىء الهدامة ، كالوجودية مثلا . ومصيبة العالم فى هذا الزمان أنهم يشرعون له أنظمته ودساتيره ، وآفة الآفات فى بلادنا أنها تترك نفسها تنساب بين طيات أمواج ذلك الفساد الساحق الماحق الذى يصورونه لنا .

الدولة عندهم أساسها منهار ، لأن المجتمع طبقات ؛ ففى العصور الوسطى كان أسلافهم يعبدون الكنيسة التى كانت تبيع قصورا فى الجنة ، ثم عبدوا النبلاء والأمراء وذوى التيجان ، وفى العصر الحديث ، ومن حيث لا يشعرون ، يعيشون فى ربقة الرأسمالية التى تهيمن عليها اليهودية الدولية ، ولهذه اليهودية أوكار فى موسكو وفى نيويورك ، ولندن وباريس وروما وتل أبيب ، وهكذا ، فأين هو الفرد فى بناء الدولة ، وهو عضو فى قطيع يساق للموت عندما تختار الرأسمالية الحرب طريقة لحل مشكلاتها والخلاص من الأزمات ؟ ! .

إن الإسلام وحده هو الذى حرر الفرد من الجهالة الجهلاء ، وكرمه حينما أمره بألا يعبد غير الله ، وبذلك أقام الدولة على أساس لا يتطرق إليه وهن . وهل فى مجال

الحرية ما هو أقوى من أن يقول المسلم ، حاكما أو محكوما ، غنيا أم فقيرا ، كلما قرأ فاتحة الكتاب : « إياك نعبد » ويضغط على هاتين الكلمتين ، وإلا فإنه لايكون مسلما ؛ فالشرط الأول للاسلام أن تكون العبادة لله والقوة لله والحكم كله لله ، وأما قيم الناس عند الله ، فتحكمها هذه القاعدة الأزلية « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

هذا الدين القيم كمل للفرد حقوقه وحرياته وصان شرفه وعرضه وماله ووضع لأسرته نظاما تتحطم دونه كل النظم التي اهتدى إليها العقل البشري ، وبذلك كان الفرد هو حجر الزاوية في بناء الدولة . واحتاط الإسلام ضد كل ما يصيب الدولة من أمراض فوضع لكل داء دواء .

أما في علاقات الفرد بغيره : في علاقته بربه ، وبزوجه وبنيه وأولى الأرحام ، وبجاره وغير جاره من بني وطنه ، وفي حقوقه على الدولة وواجب الدولة نحوه ، وفي حق وطنه عليه ، ثم في علاقته بالمجتمع الإنساني ، وكل هذا ضمانات لقيام دولة صحيحة البدن ، صالحة لخدمة أسمى المبادئ ، فالمقال بنا يطول ، وأما في تنظيم الإسلام لأركان الدولة الأخرى وشكل الحكم المثالي ، فمجال الكتابة فسيح ، وفي ديننا الحنيف ثروة كبرى . فحسبنا اليوم هذا القدر ، وموعدنا العدد القادم إن شاء الله .

« إن من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره »

« المهلب بن أبي صفرة »

قصة تمثيلية :

الحائط القصير..

للأستاذ علي أحمد باكثير

المنظر : في الجيزة بمصر . فناء متوسط بين بيتين صغيرين أحدهما لفرتونة السوداء والآخر لفرتونة البيضاء .

يرفع الستار عن فرتونة السوداء جالسة بجوار باب بيتها في الفناء تغربل حباً لها وإذا صوت فرتونة البيضاء يسمع من داخل بيتها .

الصوت : فرتونة! يا سوداء يا فحمة يا جنح الليل ! !

السوداء : لا حول ولا قوة إلا بالله . متى يتوب الله علي من جوار هذه السليطة المؤذية

البيضاء : (تدخل حاملة ديكا أبيض يصيح في يدها) أنت هنا تغربلين الحب وتسيبين ديكك ينقر فراخي ويأكل الحب عليهن ! (ترمي الديك في حجر صاحبتها بقوة)

السوداء : (تأخذ الديك) معذرة يا أختي . . ما علمت والله أنه تسور الحاجز إلى حائطك .

البيضاء : ألم أقل لك أن تحبسي هذا الديك اللعين في القفص ؟

السوداء : لا أستطيع أن أحبسه في القفص طول اليوم .

البيضاء : بل تعمدت إرساله ليأكل الحب عندي !

السوداء : خذي ما شئت من هذا الحب مكان ما أكله عندك واكفيني شر لسانك .

البيضاء : (ثائرة) خذي ما شئت من هذا الحب ! هل قال لك أحد إني محتاجة إلى حبك ؟

السوداء : ماذا أصنع لك ؟ هاتي ديكا من ديوكك ليأكل عندي .

البيضاء : ما عندي ديك جائع . . . الحظيرة عندي ملأى بالحب .

السوداء : والحظيرة عندي كذلك ولله الحمد ولكن هذا الديك الشقي يترك الخير الكثير ويتقمم عندك ما حيلتي فيه ؟ دنيء النفس !

البيضاء : مثل صاحبته .

السوداء : بل هو من فصيلتك . . أبيض مثلك !

البيضاء : والله لئن وجدته عندى مرة أخرى لأقصفن رقبته .

السوداء : اتق الله يا هذه فى الرحم !

البيضاء : قد أنذرتك فلا تلومينى !

(يقبل شنودة الكاتب)

شنودة : عوافى يامولانى ذى أصبح ! عوافى ! ما الخطب ؟ دائما فى شجار وخصام ؟ أى عيشة هذه ؟

السوداء : ماذا أعمل يا شنودة ؟ تتحرش بى فى كل حين كأن لها ثأراً عندى . ليتك تدلنى على بيت آخر أسكنه بعيداً عن هذه المؤذية !

البيضاء : علام التعب ؟ دعيه يكتب لك رسالة أخرى إلى أمير المؤمنين بدمشق ليبنى لك قصراً فى حلوان ! !

السوداء : أوه ! انتهينا من قصة الديك ورجعنا إلى قصة الرسالة ! الويل لنا منها . . ستظل ترددها حتى الليل !

البيضاء : بل سأظل أرددها ما حييت . إنها أطرف قصة يتمكه بها الجلاس والسُّمّار (تضحك متهانفة) رسالة ممن ؟ من فرتونة السوداء بالجيزة ! إلى من ؟ إلى أمير المؤمنين بدمشق ! فى أى شىء ؟ فى حائطها القصير : تريد من أمير المؤمنين أن يرسل بنائيه المهرة ليبنوا لها حظيرتها حتى يرتع دجاجها فى الرخام والمرمر ! !

السوداء : (تكظم غيظها) اسخرى ما شئت . لن أرد عليك . . سأذهب الى بعض جاراتى وأترك الدار لك ! (توصد باب بيتها وتهم بالخروج)

شنودة : وأنا أيضاً سأنصرف

البيضاء : انتظر قليلا يا شنودة

شنودة : دعينى أسترزق يا فرتونة .

البيضاء : عندى رسالة أريد أن تكتبها لى . . انتظر . (تلتفت إلى صاحبتها) إياك أن تذهبى بعيداً فقد يجىء رسول أمير المؤمنين بالجواب فلا يجدك :

السوداء : إن جاء فخذى الجواب لك (تخرج)

البيضاء : (ترفع صوتها لتسمعها) آخذه ؟ أنا مجنونة ؟ آخذ السياط فى ظهرى مكان ظهرك ؟ !

شنودة : لا حق لك أن تروعها هكذا يافرتونة :

البيضاء : أحلق شعر رأسى هذا إن لم يجىء شرطى الأمير غداً فيسحبها من قرونها إلى السجن !

شنودة : هذا محال .

البيضاء : وأنتف أهداب عينى هاتين إن لم يسألوا عن الذى كتب لها الرسالة ليقطعوا يده

شنودة : هذا غير معقول .

البيضاء : غير معقول عندك . إنك لا تعرف مقام أمير المؤمنين وعقوبة التطاول عليه . خبرنى هل تكتب بيدك اليسرى أيضاً ؟

شنودة : لا . . بيدى اليمنى فقط .

البيضاء : فسينقطع عيشك يا بطل ! !

شنودة : (يدركه شىء من الخوف) لكن ما ذنبى أنا ؟ الرسالة ليست منى .

البيضاء : أنت كتبتها بيدك .

شنودة : بالأجرة . . هذا عملى الذى أعيش منه .

البيضاء : كان عليك أن تنصحها وتبصرها بما ينبغى وما لا ينبغى فهى جاهلة حمقاء وأنت لبيب تعقل وتفهم .

شنودة : على كل حال ما كتبت اسمى على الرسالة فلن يعلموا أنى أنا الذى كتبت .

البيضاء : وأين أنت منى ؟ لأدلنهم عليك .

شنودة : حنانك يا فرتونة . . لا تفعلى أحسن الله إليك . . علام تريدين أن تخربى بيتى ؟ هل أسأت يوما إليك ؟

البيضاء : لولاك ما استطاعت هذه السوداء أن تستطيل على وتتفتّج أمام الناس بأنها تراسل أمير المؤمنين وأن رسالتها قد حملها بريد أمير المؤمنين إلى دمشق !

شنودة : لو لم أكتب لها لوجدت من يكتب لها غيرى .

البيضاء : كلا ما كانت لتجد أحمق سواك يعينها على ارتكاب هذه الجريمة .

شنودة : لكن الكاتب بالأجرة غير مسئول عما فى الرسائل التى يكتبها للناس .

البيضاء : ما شاء الله ! أئذا أمليت عليك هجاء فى أمير المؤمنين فكتبته لى وأرسلته فى بريده لا يعاقبك أمير المؤمنين بل يأمر لك بجائزة سنية تبعث إليك ؟ !

شنودة : لكن الذى كتبته لها ليس هجاء فى أمير المؤمنين :

البيضاء : لا فرق بينه وبين الهجاء . والله لو أن فرتونة السوداء راسلتنى أنا لعددت ذلك إهانة لقدرى !

شنودة : يقولون عن عمر بن عبد العزيز هذا إنه عادل رحيم .

البيضاء : نعم ولكن هل جزاء العادل الرحيم أن ينتهك مقامه ويتطاول عليه ؟ أليس للملوك مقام عندكم ؟

شنودة : (ينظر أمامه) وى ! هذا شرطى قد أقبل فى الزقاق !

البيضاء : ألم أقل لك ؟ وهذه بغلة أحد الأمراء فيما أظن .

شنودة : رحماك يا فرتونة . . استرى علىّ ستر الله عليك . سأكتب لك رسائلك بغير أجر .

البيضاء : إذن فادخل جوّ البيت لئلا يروك ! (يتوارى شنودة خلف الباب) (يظهر الأمير أيوب بن شرحبيل فى طرف الفناء) .

أيوب : السلام عليكم يا أهل الدار !

البيضاء : وعليك السلام .

أيوب : أهذا منزل فرتونة مولاة ذى أصبح ؟

البيضاء : نعم يا سيدى .
(يظهر الشرطى بجوار الأمير) .

أيوب : (للشرطى) هلاّ لزمت البغلة أن تند ؟

الشرطى : قد ربطتها يا سيدى الأمير .

أيوب : (للمرأة) أنت فرتونة مولاة ذى أصبح ؟

البيضاء : (متلعثمة) نعم يا سيدى . . لا لا يا سيدى الأمير !

أيوب : ويحك ألست أنت التى كتبت إلى أمير المؤمنين ليصلح لك حائطك ؟

البيضاء : حاشاى يا سيدى أن أفعل ذلك . أنا أرتكب مثل هذا الجرم ؟!

أيوب : (يضحك متعجباً) لا تراعى يا جارية . إنما جئنا لإصلاح حائطك بأمر أمير المؤمنين .

البيضاء : (تتلعثم) معذرة يا سيدى الأمير . لقد توهمت . . . لقد ظننت .

أيوب : ماذا توهمت ؟

البيضاء : توهمت أن الرسالة قد أغضبت أمير المؤمنين وأنك . . . . .

أيوب : كلا بل أمرنى أمير المؤمنين أن أركب بنفسى إليك لأقضى حاجتك .

شنودة : (يظهر من خلف الباب) كلا لا تصدقها يا سيدى الأمير . هذه ليست صاحبة الرسالة . أنا الذى كتبت تلك الرسالة إلى أمير المؤمنين بخطى .

أيوب : (متعجباً) ويحك من تكون ؟

شنودة : أنا شنودة الفيومى أكتب للناس بالأجرة .

أيوب : أو لم تكتب الرسالة لهذه الجارية ؟

شنودة : لا يا سيدى بل لفرتونة السوداء .

أيوب : مولاة ذى أصبح ؟

شنودة : نعم . . مولاة ذى أصبح كذلك .

أيوب : فأين هى ؟

شنودة : سأدعوها لك الساعة (ينطلق خارجا) .

الشرطى : ويلك أتكذبين على عامل أمير المؤمنين ؟ (تجهش فرتونة باكية) .

أيوب : دعها . . دعها يا عمرو .

البيضاء : (فى خجل وخوف) سامحنى يا سيدى الأمير .

أيوب : إن صدقتنى القول سامحتك . ماذا حملك على ما صنعت ؟

البيضاء : ظننت فى أول الأمر أنكم جئتم لمعاقبة فرتونة السوداء لتطاولها بالكتابة إلى أمير المؤمنين ، فلما علمت أنكم جئتم لإصلاح حائطها طمعت يا سيدى أن تصلحوا لى حائطى أنا أيضا فإنه قصير يتسوره اللصوص فيسرقون منه الدجاج

أيوب : واسمك أيضا فرتونة ؟

البيضاء : نعم يا سيدى الأمير . يدعوننى فرتونة البيضاء ويدعونها فرتونة السوداء .

(تدخل فرتونة السوداء ومعها شنوده)

شنودة : هذه هى يا سيدى الأمير . . هذه صاحبة الرسالة .

السوداء : (تنقل طرفها فى وجوه الحاضرين كأنها ما زالت فى شك من الأمر) . .

أيوب : (يخرج الرسالة) هذا جواب أمير المؤمنين لك يا فرتونة .

السوداء : (تتمتم) جواب أمير المؤمنين !

أيوب : نعم هل تحبين أن يتلوه كاتبك هذا عليك ؟ .

السوداء : نعم يا سيدى الأمير.

شنودة : (يفض الرسالة فيقرأ) بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء مولاة ذى أصبح . بلغنى كتابك وما ذكرت من قصر حائطك ، وأنه يدخل عليك منه فيسرق دجاجك فقد كتبت لك كتاباً إلى أيوب بن شرحبيل آمره أن يبنى لك ذلك حتى يحصنه لك مما تخافين إن شاء والسلام .

السوداء : (نطلق زغردة عالية ثم طفقت تدور حول فرتونة البيضاء وهى ترقص وتترنم):

من أمير المؤمنين جاءتنى التحية

فاقتلى نفسك من غيظك يا روميّه !

الشرطى : مـه يا هذه . إن الأمير ما جاء ليشهد رقصك !

أيوب : أجل . . حسبك يا فرتونة !

البيضاء : (تجد متنفّسا) قل لها يا سيدى الأمير . إنها لا تعرف مقام أحد !

السوداء : (ندق الأرض بقدميها وتضرب كفا بكف وتصيح فى لهجة شامتة) :

اقتلى نفسك من غيظك يا رومية !

من أمير المؤمنين جاءتنى التحية

أيوب : (بين الغضب والابتسام) حسبك يا فرتونة . لن يرضى صنيعك هذا أمير المؤمنين .

السوداء : معذرة يا سيدى فقد غلبنى الفرح لكتاب أمير المؤمنين فلم أملك نفسى .

أيوب : (ملاطفا) هل عندك دجاج كثير ؟

السوداء : الحمد لله يا سيدى عندى الكثير الطيب . أتحب أن أريك ؟ . . تعال انظر من هذه الكوة !

أيوب : (يتقدم إلى الكوة فينظر) ما شاء الله — ما شاء الله .

السوداء : لو لم يسرق اللصوص منه لكان عندى أكثر .

أيوب : غداً نبعث إليك من يصلح لك هذا الحائط ويرفعه فلا يتسوره أحد .

البيضاء : (تتقدم إلى أيوب فى خجل) وحائطى هذا يا سيدى الأمير ... إنه قصير أيضاً كما ترى أفلا تصلحه لى أصلح الله حالك ؟

السوداء : (فى حدّة) كلا يا سيدى الأمير لا تفعل . ليس من العدل أن تصلح لها حائطها على نفقتى !

أيوب : (ضاحكا) بل على نفقة أمير المؤمنين .

السوداء : كلا لن يرضى أمير المؤمنين ذلك . أنا التى دفعت أجرة الكاتب . سله فهو أمامك .

شنودة : أجل يا سيدى الأمير .

أيوب : كم دفعت له يا فرتونه ؟

السوداء : درهمين .

أيوب : فليكن منك درهم ومنها هى درهم .

البيضاء : أحسنت يا سيدى وعدلت (تخرج درهما من بين ثيابها) خذى الدرهم .

السوداء : (تعرض عنها) كلا ماذا أصنع أنا بدرهمها ؟ والله لا أرضى أبداً أن تنال خيراً على يدى .

أيوب : ويحك إن لها عليك حق الجوار وحق الولاء لسيد واحد فهى أختك .

السوداء : أختى ؟ ! كلا يا سيدى . هذه دائماً تعيرنى بلونى وتسخر منى وتتندر علىّ . سل عنها الجيران والجارات .

البيضاء : لا تصدقها يا سيدى الأمير إنها تكذب !

أيوب : (ينهرها) ويلك قد كذبت أمامى مرة فلا تحاولى أن تكذبى مرة ثانية . توبى إلى ربك يا جارية واعلمى أن الناس سواسية كأسنان المشط لا يفضل أحد أحداً بلونه أو ماله أو نسبه ؛ وإنما الفضل بالتقوى . ويلك ألم تسمعى قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن » .

البيضاء : (تبكى) قد تبت يا سيدى الأمير . لن أفتح فمى بما يؤذيها أبداً .

أيوب : راضيها فإنى لن أبنى لك حائطك إلا إذا رضيت عنك .

البيضاء : (تدنو من صاحبتها فتقبل رأسها) سامحينى يا أختى . والله لا أسمعك ما تكرهين أبداً .

السوداء : والديك أتقصفين رقبته إن عاد إلى حائطك ؟

البيضاء : كلا يا أختى . . . سأتركه يفعل ما يشاء .

أيوب : ما قصة الديك يا فرتونة ؟

السوداء : عندى يا سيدى الأمير ديك أبيض دنىء النفس يترك الحب الوفير فى حظيرته ويذهب إلى حظيرتها يتقمم !

البيضاء : أتسمع يا سيدى الأمير إنها تشتمنى وتعيرنى بلونى !

أيوب : ويلك يا فرتونة . أهكذا أنت ؟

السوداء : توبة يا سيدى الأمير . لن أعود لمثلها أبداً (تقبل رأس صاحبتها) سامحينى يا أختى حقك علىّ . لا تعيرينى ولا أعيرك . اتفقنا ؟

البيضاء : اتفقنا !

السوداء : اشهد أنت يا شنودة !

أيوب : (يضحك) علىّ بالبغلة يا عمرو !

« ستار »

الحكمة وراء نظام الإرث

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعى

(٢)

١١ — ولا شك أن التبذير والترف ناشئان من تكدس الأموال وتجمعها فى أيد قليلة . . ولذلك كره الإسلام تجمع الثروة فى أيد محدودة ؛ وذلك حيث يأمر الله بقسمة الغنائم على المحتاجين ، ثم يتبع ذلك بقوله : « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ، ولقد جرى الخلاف بين عمر والصحابة فى تقسيم أراضى العراق ومصر والشام على الفاتحين ، وكان رأى عمر عدم تقسيمها ، ووافقه بعض الصحابة ، منهم معاذ الذى قال لعمر : « إنك إن قسمتها صار الريع العظيم فى أيدى هؤلاء القوم ، ثم يبيدون فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة ، ثم يأتى من بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسدا — أى يقومون بخدمة الإسلام ويدافعون عنه — وهم لا يجدون شيئاً » . فهذا إنكار من معاذ أن تحصر الثروة والأرض فى يد معينة بينما يحرم منها الجمهور ، وما كان لمعاذ أن ينكر ذلك لولا قول الله تعالى : « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

١٢ — ولما كان التملك وظيفة اجتماعية ، وكان التبذير والسرف ضاراً بمصلحة الجماعة ، فقد أوجب الإسلام على الحكومة أن تتدخل لتحول دون تبديد الثروات فى الإثم أو فيما لا يفيد ؛ ذلك أن الحكومة فى المجتمع المتمدن بمثابة الأب فى العائلة ، تقوّم خطأ المعوج ، وتسدد خطى السائرين ، وتأخذ على أيدى العابثين . والأموال فى أيدى الناس هى أشد ما تلعب به الأهواء ، فالإنسان يحب الاستئثار ، ويذكر نفسه أكثر من غيره ، ويطالب غيره بالذى له أكثر مما يطالب نفسه بالذى عليه ، لا جرم أن كان من الواجب أن تشرف الحكومة على تصرف الناس بأموالهم : لا تتدخل فى تصرفاتهم ما داموا على سنن الخير واستقامة الطريق ، فإذا انحرفوا وقفت فى وجههم لتردهم إلى الجادة ، وتمنعهم عن الضلال . .

ومن هذا كان مبدأ « الحجر على السفيه » فى الإسلام ، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً » ، وانظر

ما أروع هذا التعبير وأبعد دلالته ! . أضاف أموال السفهاء إلى المجموع لا إلى السفهاء .. إشعاراً بأن الثروات الخاصة فى أيدى الأفراد هى فى الحقيقة مشتركة المنفعة بين الناس جميعاً ، فإذا أساء أحدهم التصرف بما فى يده من مال ، كان من حق المجتمع أن يحول بينه وبين التصرف بالمال لأنه مال المجموع . والحكومة وهى التى تمثل الشعب . . تتدخل عندئذ فتشرف على هؤلاء ، وتقوم على شئونهم بالوصاية . . والسفيه هو الذى لا يميز الضار والنافع ، كالصبي والمجنون والمعتوه ، وهو أيضاً الذى يتصرف فى الأموال بما لا تقتضيه معيشته كإنسان وحياته كمواطن ، فكما يجب على الحكومة أن تصون أموال الصبيان والمجانين والمعتوهين من الضياع ، يجب عليها أن تصون أموال المسرفين والمبذرين من الضياع أيضا ، لأن السرف تجاوز الحد ، ومن تجاوز حد التصرف فى غير ما تقتضيه مصلحته كان كالصبي والمعتوه من حيث لا يميز بين الضار والنافع . هذا ، ومبدأ الحجر على السفهاء متفق عليه فى جميع المذاهب الإسلامية .

١٣ — إذا جمع المال من طريق حلال ، وأنفق منه بالاعتدال ؛ كان ما بقى منه فى يده مصونا تحميه الدولة وقوانينها ، وعلى المجتمع أن يحترم حيازته له ، فلا يحل لأحد أن يأخذه منه إلا برضى وطيب نفس : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » . « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » ومن أجل ذلك وضعت فى الشريعة عقوبات السرقة والنصب وسائر أنواع العدوان .

١٤ — وإذا مر على بدء حيازته للمال عام كامل ، وفضل منه ما زاد على نفقته وضرورات معاشه ، وجب عليه أن يخرج منه قدراً معينا يسمى « الزكاة » وهو فى الأموال النقدية اثنان ونصف فى المائة ، تدفع لسد حاجات الطبقات العاجزة عن العمل ، من إطعام وإيواء وغير ذلك من المشاريع التى تحقق العدالة الاجتماعية ، وترفع مستوى الشعب . وتقوم فكرة « الزكاة » على أن كل الناس ليسوا قادرين على العمل ، وليس كل القادرين على العمل يجدون عملا ، وليس كل الذين يجدون عملا يستطيعون أن يعيشوا بأجر ما يعملون ، لا جرم أن كان فى الأموال الموجودة بأيدى الناس الفائضة عن نفقاتهم وحاجاتهم الضرورية ، حق معلوم لمثل هؤلاء : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » يدفعه كل من ملك نصابا معينا ، فإذا امتنع أخذته الدولة قهراً عنه ، ولها فى رأى بعض الأئمة أن تعاقبه على هذا الامتناع بأن تأخذ حق الزكاة وتأخذ معه شطراً من ماله ، عملا بما رواه أبو داود والنسائى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنه قال عن الزكاة : « من أعطاها مؤتجراً فله أجرها ، ومن أباها فإنى آخذها وشطر ماله » . لأن نعمة الاشتراك فى الحياة الكريمة يجب أن يتساوى فيها الناس ما دام الله قد أثبت هذه الكرامة للانسان « ولقد كرمنا بنى آدم » وما دام الله قد خلق السموات والأرض وذلل الشمس والقمر والأنهار والبحار ، لتحقيق هذه الكرامة الإنسانية للناس جميعاً .

وقد بين القرآن مصارف الزكاة فى الآية الكريمة : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب والغارمين ، وفى سبيل الله وابن السبيل » .

واختلف العلماء فى التفرقة بين الفقير والمسكين : هل هما صنف واحد أم أن أحدهما أسوأ من الآخر ؟ وأقرب التفاسير – فى رأيى – إلى الصواب وإلى روح اللغة وحكمة التشريع أن الفقير هو الذى يستطيع العمل ولكن لا يجده ، أو يجده ولكن ما يأخذه من الأجر لا يكفيه لنفقة عياله ؛ أما المسكين فهو العاجز عن العمل كالأعمى والمقعد والمشلول وغيرهم .

أما تفسير « وفى سبيل الله » فهو كل مشروع عام النفع تعود فائدته للفقراء وللناس جميعاً كالمستشفيات والمدارس والملاجىء والمياتم . . . وهذا ما أعتقد أنه التفسير الذى يتفق مع حكمة التشريع وروح الشريعة ، وهو المأثور عن أنس بن مالك والحسن البصرى .

١٥ – ليس نصيب الزكاة هو كل ما فى المال من حق لتأمين العدالة الاجتماعية فى المجتمع ، بل هو الحد الأدنى الذى لا يجوز إمساكه ، فاذا تحقق للدولة أن أموال الزكاة لا تكفى لسد حاجات الطبقات الفقيرة فى المجتمع جاز لها أن تأخذ من أموال الناس بمقدار ما تندفع به الحاجة ويرتفع به مستوى تلك الطبقات ؛ والأصل فى ذلك ما رواه الطبرانى عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ، ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديداً ويعذبهم عذابا أليما » .

وإليك ما قاله ابن حزم فى المحلى فى هذا الموضوع فإنه من أروع ما أثر عن السلف فى فهم نصوص الإسلام وتطبيقها بما يحقق العدالة الاجتماعية :

« وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم ولا فى سائر أموال المسلمين بهم . فيقام لهم بما يأكلون من

القوت الذى لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والشمس وعيون المارة .

برهان ذلك قوله تعالى « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل » وقال تعالى : « وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » فأوجب تعالى حق المساكين وابن السبيل مع حق القربى ، وافترض الإحسان إلى الأبوين وذى القربى والمساكين والجار وما ملكت اليمين ، والإحسان يقتضى كل ما ذكرناه (من وجوب تأمين القوت واللباس والمسكن للفقراء) ومنعه إساءة بلا شك .

وقال تعالى : « ما سلككم فى سقر ؟ قالوا : لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين » فقرن الله تعالى إطعام المسكين بوجوب الصلاة

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق كثيرة فى غاية الصحة أنه قال : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » ومن كان على فضلة ورأى المسلم أخاه جائعا عريان ضائعاً فلم يغثه ، فما رحمه بلا شك .

وعن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق : أن أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس أو كما قال » فهذا هو نفس قولنا .

وعن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » ومن تركه يجوع ويعرى وهو قادر على إطعامه وكسوته فقد أسلمه .

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له (أى من كان معه دابة زائدة عن حاجته فليعطها لمن ليست له دابة) ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل » وهذا إجماع الصحابة رضى الله عنهم يخبر بذلك أبو سعيد ، وبكل ما فى هذا الخبر نقول. ومن طريق أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم « أطعموا الجائع وفكوا العانى — الأسير — » والنصوص من القرآن والأحاديث الصحاح فى هذا تكثر جداً ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين » وإسناد هذا القول إلى عمر بن الخطاب فى غاية الصحة والجلالة .

وبعد أن ذكر ابن حزم الحديث الذى ذكرناه سابقا وهو . أن الله فرض على الأغنياء فى أموالهم . الخ موقوفا على على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : وعن ابن عمر أنه قال : فى مالك حق سوى الزكاة ، وعن عائشة أم المؤمنين والحسن بن على وابن عمر أنهم قالوا كلهم لمن سألهم : « إن كنت تسأل فى دم موجع أو غرم مفظع ، أو فقر مدقع فقد وجب حقك » وصح عن أبى عبيدة بن الجراح وثلاثمئة من الصحابة رضى الله عنهم أن زادهم فنى ، فأمرهم أبو عبيدة فجمعوا أزوادهم فى مزودين وجعل يقوتهم إياها على السواء ، فهذا إجماع مقطوع به من الصحابة رضى الله عنهم لا مخالف لهم فيه .

وصح عن الشعبى ومجاهد وطاووس وغيرهم ، كلهم يقول : « فى المال حق سوى الزكاة » .

وبعد أن ناقش ابن حزم ما روى عن الضحاك بن مزاحم من إنكار أن يكون فى المال حق سوى الزكاة قال : « من عطش فخاف الموت ففرض عليه أن يأخذ الماء حيث وجده ، وأن يقاتل عليه ، ولا يحل لمسلم اضطر ، أن يأكل ميته أو لحم خنزير وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه ، لمسلم أو لذمى ؛ لأن فرضا على صاحب الطعام إطعام الجائع ، فإذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير ، وله أن يقاتل عن ذلك فإن قتل (الجائع) فعلى قاتله القود (أى القصاص) وإن قتل المانع فإلى لعنة الله ، لأنه منع حقاً ، وهو طائفة باغية ، قال تعالى : « فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » ومانع الحق باغ على أخيه الذى له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر رضى الله عنه مانع الزكاة » .

انتهى كلام ابن حزم باختصار بسيط من الجزء السادس صحيفة ١٥٦ — ١٥٩ .

(يتبع)

أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم

حسن البنا

السياسات الاقتصادية فى الإسلام

للأستاذ محمود أبو السعود

مستشار بنك الدولة بالباكستان

(٢)

ولننتقل بعد ذلك إلى حكمة التملك ومعناه . فهل يا ترى فطر الإنسان على التملك المادى فهو إذن غريزة متأصلة فى أغوار الفطرة البشرية ، أم أن الملكية نظام اجتماعى استنه الإنسان لنفسه باعتباره نظاماً يحقق سعادة ، أو وسيلة تصل إلى غاية ؟

المعروف فى التاريخ البشرى أن عيشة القبائل الراعية ومن قبلهم الزنوج الذين يعيشون عيشة الأسرة — وهى أقل من القبيلة — لم تشمل الملكية الخاصة بل كانت الملكية فيها مشاعاً بين الأفراد جميعاً والملكية جماعية ، وقد عرف الإسلام الملكية على الشيوع واعترف بها ونظمها ، ومن أمثلة الملكية الجماعية التى اتخذت صوراً تخفى شكلها الحقيقى ماساد العصور الوسطى فى أوربا من مثل اجتماعية تنص على أن الأرض حق الله وهبته للناس جميعاً . وإنما يتملكها الأمير أو الملك باعتباره المختار من قبل الله ليشرف على شئون الناس هنا أيضاً لم يكن الملك أو الأمير مالكا للأرض ، ولكن الأرض — وكانت هى أكبر مصدر للثروة فى ذلك التاريخ — كانت ملكا لله الذى منحها لعباده وأقام « وصياً » عليهم من لدنه هو الملك أو الأمير .

وفى القرن الثامن عشر حكم مصر أعظم من وليها فى العصر الحديث وهو محمد على الكبير فصادر الأرض الزراعية كلها — وهى فى مصر مصدر الثروة — وجعلها ملكا للدولة وقسمها على الزراع كل بحسب قدرته الإنتاجية على ألا يملكها أو يورثها ، ولم يثر تصرفه هذا احتجاج مسلم أو اعتراض فقيه عالم وفى هذه السنين التى أعقبت الحرب العالمية الثانية أخذت الدول التى تقدس الملكية الخاصة والتى اصطلح على تسميتها بالدول الرأسمالية تتسابق فى امتلاك المرافق العامة فى بلادها ملكية جماعية ، فأممت بريطانيا البنك المركزى والنقل البحرى والمناجم ، وفرضت من النظم ما يجعل للدولة حق الإشراف على كثير من الملكيات الخاصة ، وأميزها العمل إذ جندت العمال لإنتاج السلع التى يحتاجها جمهور الناس وكادت أن توحد الأجور .

أما روسيا السوفيتية فقد ألغت الملكية فى جميع الطبقات « الإنتاجية » ولست أحب أن أضربها مثلا فى هذا الصدد ، ولكنى فقط أردت أن أدلل على أن الملكية الفردية ليست غريزة كما يزعم بعض الاقتصاديين الرأسماليين وإنما هى نظام اقتضته مصالح الناس لهم أن يعدلوا عنه إن كان فى هذا العدول خير ، وأردت أن أثبت أن الله وحده هو الخالق لكل الطيبات وأن الإنسان لا حق له فى ملكية إلا بمقدار ما لأخيه من حق ، وأنه من الخير أن تعطى هبة الطبيعة للأفراد الذين هم أقدر على استغلالها ممن سواهم ، يدل على ذلك شواهد مما أوردنا من أحاديث كرى الأرض ومزارعتها .

إذن فالمقدمة الثانية هى أن هبة الله ملك لله وليس للأفراد حقوق مستقلة عليها وأن من الخير أن توزع هذه الهبات على الأفراد الذين هم أقدر على استغلالها .

إذا سلمنا بأن للأفراد قبل الدولة حقوقاً وأن الدولة أيضاً لتقوم بواجبها حقوقاً مناظرة ، وأن هبات الطبيعة ملك لله سبحانه وتعالى وأن الناس مستخلفون على هذه الثروات وأن الملكية الفردية ليست ضربة لازب على الناس أوجبها الدين أو حتمتها الغريزة ، ولكنها نظام اجتماعى موضوع ، وأن زمن الملكية الفردية قد ولى نظرا لما نشاهد من اتجاه عام فى البلاد الديمقراطية والشيوعية على السواء .

وإذا علمنا أن الدين الإسلامى يوجب التكافل بين الأفراد « إنما المؤمنون إخوة » « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وفى الحديث أيضاً عن أبى موسى « لن تؤمنوا حتى ترحموا » قال يا رسول الله كلنا رحيم — قال « إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة عامة الناس » وإذا سلمنا أن العصر الحديث وقد تضاعف فيه عدد المسلمين واختلفت فيه الأعمال والتجارات يوجب تدخل الدولة فى تنظيم اقتصادياتها حتى تكفل للأفراد أرزاقهم وسكناهم وعلمهم وعملهم .

وإذا سلمنا أن الإسلام يحتم المساواة المظهرية بين الناس فلا يسمح للرجل أن يلبس الحرير أو يركب على جلد نمر أو أن يتخذ له من المساكن ما يباهى به ، بل إنه لا يسمح للأمير أن يتميز عن رعيته .

إذا أخذنا كل هــذه المقدمات فى الاعتبار فالنتيجة الحتمية هى أن السياسة الاقتصادية الإسلامية تقوم على أمرين أساسيين :

الأول : قيام الدولة على المرافق العامة والثروات التى تمكنها من تأدية واجب كفالة حقوق الأفراد المعاشية التى سبق أن أوردناها ، وتمتلك هذه المرافق .

والثانى : المساواة المظهرية التامة بين سائر الافراد وحقيق بنا أن نشرح هذا الأساس الأخير لنتبين الركن الثانى من أركان الاقتصاد الإسلامى .

المساواة المظهرية : فى ظل نظام إسلامى شامل — ولا يمكن أن تصور قيام سياسة اقتصادية إسلامية مالم تتوافر أركان الإسلام فى جميع مظاهر الحياة الأخرى من قانونية واجتماعية وسياسية — فى ظل هذا النظام لن تكون للفرد رغبة فى ملكية خاصة إذ الملكية الخاصة على مر العصور كانت دائما علامة التمايز ودليل التفوق وكانت القياس بين الأفراد ومسبار الرجحان إن فى الفرد غريزة أصيله هى غريزة التميز فهو يحب أن يكون مميزاً عمن عداه ، ومهما بلغ الإيثار بفرد فإنه إنما يمعن فى إيثاره تميزاً لنفسه ؛ فكما أن حب الذات مظهر من مظاهر هذه الغريزة الأصيلة فكذلك الإيثار ليس إلا المعنى المضاد و الصورة المقابلة لهذه الغريزة وقد درج الناس على أن يتملكوا فتزداد بذلك قوتهم فى المجتمع ، إذ الملكية احتكار للنعمة وقصر للخير على الذات المحتكرة ، فالمالك يستمتع بمظهرين من مظاهر القوة: الحصول على ما تغله ثروته المملوكة وهذا قوة ، واستخدام الغير فى استغلال منحة من منح الطبيعة سواء فى شكلها البدائى أم فى شكلها المعدل وقد استقر هذا المعنى فى أذهان الناس على مر القرون وما من أحد كاد يتصور القوه مجردة عن الملكية ولما كانت الملكية دائمة سواء فى الشخص أو فى من يرثه فهى أبداً مصدر للقوة أحب للنفس من الحكم والإمارة . والملكية أيضاً وقاء من عاديات الدهر وإحن الزمان وتقلبات الغير ، وسبيل للحصول على ما يبتغيه الفرد من متع وسلع وشهوات .

على أن الإسلام لم يقر هذا القياس ولم يقبل أن تشبع غريزة التمايز بحق الملكية الفردية فذلك نزول بالكرامة الإنسانية إلى درك مادى حقير وإلى عرض زائل وذلك أدعى إلى تحول نظرة الفرد نحو المادة وإغراء له بالفضيلة ، وصد له عن النزوع إلى الكمال البشرى الذى يدفع الإسلام معتنقيه نحوه ؛ وهو من أجل ذلك حريص الحرص كله على أن يحيا الناس أخوة لا توغر صدورهم مظاهر النعمة ولا تؤرقهم معانى الحرمان ، وهو بعد هذا حرص ما يكون على أن يعيش الفرد المسلم بعيداً عن الفاقة والمسغبة وعلى أن تتوافر له أسباب الحياة ليعيش الفرد كريماً مستوراً موفوراً .

إذا تساوت مظاهر الحياة عند الأفراد فى مجتمع إسلامى سليم فكيف يتمايزون .

بى الإسلام إلا أن يتسامى بالناس فأكرم الناس أتقى الناس : أحاسنهم أخلاقاً وأوفرهم إنتاجا . « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » — وفى الحديث « لا فضل لعربى

على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » — ولكن ماهي التقوى ؟ يفسرها المفسرون بأنها خشية الله ونرى أن هذا غموض وزيادة لبس فالتقوى في الحياة الدنيا هي « أن يبذل الإنسان أقصى جهده ليصل بإنتاجه إلى أعظم درجة من الوفرة والإتقا قاصداً من عمله وجه الله تعالى » . ومهما كان معنى التقوى فلا نحب أن ندخل في جدل فهي ولكن من معاني التقوى قطعاً ماسبق أن ذكرناه فتقوى الله أيضاً محبة الله ، ومحبة الله أن تحب عباده إخوانك في دين لله ، وهذا الحب يقتضيك أن تبذل لهم ما تستطيع من خير . والفرد في الإسلام جزء من آلة كبيرة ضخمة ومهما كان الدور الذي يلعبه هذا الجزء فلا غنى للآلة عنه ، أترى لو رفعت مسماراً صغيراً من آلة كبيرة هل تؤدي هذه الآلة عملها على خير وجه ؟ لا بل إن رفع هذا المسمار قد يؤدي إلى أن تحطم الآلة بعضها بعضا .

يأبى الله تبارك وتعالى أن يكون المسلمون متمايزين بالغنى والفقر « فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه ، فيقول ربي أكرمن ؛ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن . . . كلا » ويقول جل شأنه « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض » ، وقد حرص رسول الله عليه السلام على أن لايظل المال دُولة بين الأغنياء . قال الزهري : كانت غنائم بني النضير للنبي خالصة إذ لم يغنموها عنوة بل فتحوها على صلح ، فقسمها النبي بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا رجلين كانت بهما حاجة . وفي هذا نزل قوله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

هذا الركن المكين من القواعد الإسلامية يبدو مستحيلا عند بعض الفلاسفة الغربيين ، وهم يتساءلون لماذا نجدّ في عملنا إن كنا لن نمتاز مظهراً ولن نتفاوت في الثروات تفاوتا يتمشى مع جدنا واجتهادنا ؟ الواقع أن الإسلام لا يلغي التفاوت ولكنه يأبى إلا أن يعيش الفرد لمثل أعلى سام جماعي وإلا أن يحيا الفرد حياة طيبة لا تؤلب الحسد ولا توحي بالعداوة والبغضاء ، والغربيون أبعد مايكونون فهما لمعاني الفضيلة والإيثار ، والمسلمون أبعد الناس تعلقا بعرض الحياة الدنيا . ولئن تنبه بعض فلاسفة الغرب إلى انعدام المثل الأعلى في الحضارات الحديثة فما زال الفرد الغربي أعمى لا يؤمن إلاّ بالمادة وبنفسه ولا يرى من دونهما خيراً ولا نفعا .

في النظام الإسلامي السليم يمايز الأفراد حسب جدهم وإنتاجهم جزاء معنويا في

أغلبه مادياً فى أوله ، وليكن واضحاً أن الجزاء المادى حسب النظام الإسلامى لن تكون له فائدة تذكر فلعمرى إذا حرمنا الترف والزينة والبهرج والخروج على المألوف فى الملبس وحددنا المأكل ورسمنا المسكن ، ففيم يطمع من يطالب بتمايز مادى ، وإذا عشنا فى بيئة إسلامية حقة حيث القوى قوى بحقه ، والعظيم عظيم بخلقه والمفضل مفضل بتقواه والكريم كريم بنفسه لا بحسبه ؛ فماذا تجدى الحياة المادية وماذا تفيد الملكية الفردية ؟ سيكون العمـــل الصالح : العمل المنتج فى سبيل المجموع هو مقياس التفاوت . يقول تعالى « ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أجورهم وهم لا يظلمون » ويقول جل شأنه : « فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » .

قد يبدو مع هذا تصور الجزاء المعنوى مع التمايز الفردى صعب المنال والتحقيق ، ولكن الحقيقة هى أن الصعوبة تأتى لعدم تعود الناس على الوضع الجديد ولأن كل من عمل أراد أن يؤجر أجرا ماديا بصرف النظر عن الناحية المعنوية ، ولو تذكرنا دائماً مقدمة هذا الكلام من أن السياسة الاقتصادية الإسلامية تضمن للفرد ضروريات حياته لبدا حرص الأفراد على الأجر المادى سخيفا لا محل له .

أما كيف نؤجر الناس فى مجتمع إسلامى صحيح وكيف نميز بين « التقى » المجد العامل المنتج وبين الخامل الضعيف قليل الإنتاج - ويلاحظ أن النظام فى الإسلام يضمن العمل فليس هناك فرد متعطل – فذلك أمر يتوقف على الأزمان والأوضاع ويكفى أن نورد مثلا على ذلك وهو تكليف القادر على الإشراف على من هم دونه قدرة ، فمدير العمل ليس أعلى العمال راتبا ولكنه أقدرهم على الأداء « وأتقاهم » وأصلحهم وهو يستمتع « بشرف » وظيفته « وجاه » سلطانه وتحكمه فيمن هم دونه وفى هذا إرضاء لنزعة التمايز وإشباع لرغبة التفاوت وإحقاق للحق وتطبيق للعدالة .

وليذكر القارىء أن الحكم أو السلطان فى حد ذاته نعمة وهو فى الإسلام « تكليف لا توظيف » وقد حرم الإسلام على الحاكم أن يعمل على زيادة دخله بل حبس عمر رضى الله عنه أموال أبى عبيدة بن الجراح حين ولاه على الشام وأنذره أن ما زاد منها فهو لبيت المال وأجرى عليه أكله وأولاده كما يأكل عامة المسلمين . وروى أن أحد ولاة أبى موسى الأشعرى طالب بزيادة نفقته حتى يظهر على الناس بما يميزه عنهم فنهره وعزله وقال له « ألا يكفيك أنك تتحكم فى رقاب الناس »

ومن العجيب أن كثيراً من الدول الاشتراكية تأخذ بهذا النظام الإسلامى وإن

كانت لا تعترف بالإسلام بل تعاديه ، فقد طبق هذا النظام فى روسيا السوفيتية وفى ألمانيا الاشتراكية وقد نجح فى كليهما أى نجاح .

هذه نظرات عابرة حول السياسات الاقتصادية فى الإسلام نعتذر للقارئ عن سردها مقتضبة ثم نعتذر عما يكون قد جاء فيها من أحكام مستنبطة وأخطاء ولسنا نعلم أن قد سبقنا غيرنا فى هذا البحث الشاق ، بل إن المراجع التى استقينا منها هذه الآراء كانت أبعد ما تكون عن الحديث عن الاقتصاد بمعناه الحديث ، ونحن وإن كنا قد أخطأنا فهو اجتهاد وله أجره ، وإن أصبنا فلنا إذن أجران وما التوفيق إلا بالله .

وأخيراً نعتذر عن قصور البحث فهو متشعب الأطراف متسع الأرجاء ونأمل أن تواتينا الفرص لنستكمل النقص ولنوفى الموضوع حقه .

ومهما يكن مبلغ علمنا فإنا لنؤمن أرسخ الإيمان أن الإسلام جاء باقتصاد سليم يضمن للناس سعادتهم فى حياتهم الدنيا ، وأن فرصتنا — كمسلمين — هى فى تفهم هذا الدين واستجلاء معانيه والتمسك به وصدق الله تعالى إذ يقول :

« وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا ، لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ، وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون »

براهين . .

« كلما اتسع نطاق ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلى لا حد لقدرته ولا نهاية . فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده » .

« هرشل »

القائد الفاتح الأحنف بن قيس

للأستاذ السيد محب الدين الخطيب

بنو تميم :

هم رهط عظيم من العرب النزاريين ، ينتسبون إلى تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة ابن إلياس ، وجدّهم طابخة بن إلياس أخو مدركة بن إلياس بن مضر جدّ قريش الذين منهم الهادى الأعظم صلوات الله وسلامه عليه . وكان بنو تميم الذين تألق نجم (الأحنف بن قيس) فى آفاقهم ينقسمون عند ظهور الإســلام إلى شعبين عظيمين : بنى عمرو بن تميم ، وبنى سعد بن زيد مناة بن تميم . وفى كل منهما قبائل لها مفاخر وذكريات شريفة تتغنى بها الأجيال إلى اليوم وفى كل قبيلة من قبائلهما نوابغ وشعراء وفرسان وخطباء وحكماء ، كان منهم ومن أنسالهم فى الجاهلية والإســلام خير عظيم للانسانية ، وثروة ضخمة للأدب العربى ، ونتاج دسم من نتاج العقول ، وآثار باهرة من آثار الأخلاق والفضائل .

إن من لا يعرف التاريخ يظن بتاريخ العرب قبل الإسلام أنه مقفر عقيم ، وأنا أعتقد أنه أخصب تواريخ الأمم وأنمها . وبعضهم يزعم أنه مجهول ومضطرب ، وأنا مؤمن بأنه لو كان تاريخ أمة كالألمان — مثلا — لشيدوا منه أفخم تاريخ فى ماضى الإنسانية . وإن تميما هذه وحدها لو أراد المؤرخ المتثبت الصبور البصير أن يدون مفاخرها ، وينظم مآثر رجالها ، ويحلل أدب شعرائها ، ويستنطق بطولة أبطالها لما كان يكفيه عشرة مجلدات ضخام ، فكيف بالأزد ، فكيف بهمدان ، فكيف بقضاعة ، فضلا عن قريش وربيعة وسائر بطون عدنان وقحطان . إن الإنســانية لاتعرف أمة أزكى وأنبل وأوغل فى مُثلها العليا قولا وعملا من أمة العرب فى الجاهلية . أما الإسلام وأهله فقد حملا إلى الإنسانية ماتتلمظ شوقا إليه ولهفة من آمال فى السعادة لو تعاون الجميع على بعثه وتحقيقه .

ولكن أهل الباطل والشر حسدوا أهل الحق والخير على أن يكون ميلاد السعادة على أيديهم وتحت سمائهم وبين أطناب بيوتهم ، فوقفوا فى طريق التاريخ ومنعوه من أن يمتد ويتمادى بعد البطون الثلاثة الأولى فى الإسلام التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » . وبعد أن منعوا

الإسلام من أن يستمر بتلك العظمة عقب البطون الثلاثة الأولى ، عمدوا إلى تاريخ تلك البطون الثلاثة فشوهوه عمداً ، ودسوا فيه ما ليس منه ، إلا أن رجال الحديث ونقاد الرواة كانوا من ورائهم ، فدلوا من يريد الحق على مواطنه ، فسهلت المهمة على أمثالنا ممن يحاول التمحيص ، ويستلذ السهر فى استخراج تاريخ العروبة والإسلام نظيفا طاهرا كالعهد بالحوادث عند وقوعها .

الأحنف بن قيس وبيئته :

والأحنف لقب للرجل العظيم الذى سأبعث الأضواء على سيرته ، وقد لقب به لأنه لما ولد كان فى رجله حَنف : أى اعوجاج أما اسمه الحقيقى الذى سمته به أمه فهو (صخر) وأبوه قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزّال بن مرّة بن عبيد ابن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فهو من الشعب الثانى فى تميم وهم بنو سعد بن زيد مناة ؛ ولذلك كان يقال للأحنف (السعدى) كما كان يقال له (التميمى)

وكان أبوه قيس من بيت متوسط الحال فى بنى سعد بن زيد مناة ليس من سادتهم ولا من وضعائهم ، وقد قتل أبوه فى الجاهلية — والأحنف طفل أو رضيع — قتلته بنو مازن بن مالك بن عمرو بن تميم إحدى قبائل الشعب الأول من شعبى تميم ، فنشأ فى كنف عميه (المتشمس) و (صعصعة) أما صعصعة فبقى إلى زمن معاوية وكان من سادات تميم فى الإسلام وأما المتشمس فبقى له ولدان كانا فى ركاب الأحنف فى جهاده وفتوحه كما سترى .

وأم الأحنف حُبى بنت عمرو بن قرط بن ثعلبة الباهلية أخت الأخطل بن عمرو ابن قرط الذى افتخر به الأحنف يوم الجفرة فقال : « ومن له خال مثل خالى ؟ » .

وكانت ولادة الأحنف فى منازل قومه حول ماء يسمى (الغُزَيّر) عند رملة الوركة غربى اليمامة ، حيث تتفجر الآن آبار البترول السعودى فى الأحساء من سواحل نجد .

ومع أن الأحنف كان فى طفولته يتيما ضئيل الجسم ، غير بهىّ الطلعة ، فإن أمه كانت تتوسم فيه مخايل الذكاء ، ونضوج المدارك ، فتأسف لضئولة جسمه ، واعوجاج رجله ، وتقول وهى ترقصه :

والله لولا حَنَف برجله * وقلة أخافها من نسله * ما كان فى فتيانكم من مثله

ونشأ الأحنف نشأة أمثاله من أهل المواهب والذكاء فى أخبية العرب ، فكان يتطلع إلى عقلاء قومه وحلمائهم فيقتبس من فضلائهم ؛ فهذا عمه المتشمس كان مثلاً

بتطبع الأحنف بطبعه ، ويتحلم بحلمه ، ويرى فيه أسوة حسنة له فى محاسنة الناس والإحسان إليهم . وهذا قيس بن عاصم يقول فيه الأحنف : « كنا نختلف إليه نتعلم منه الحلم ، كما نختلف إلى العلماء نتعلم منهم العلم » . وهذا أكثم بن صيفى أحد حكماء تميم وعظمائها المعاصرين للأحنف ، نتعلم نحن الآن من حكمته بعد أربعة عشر قرناً ، فكيف بالأحنف المعاصر له ! .

من هذه البيئة نشأ الأحنف فى الجاهلية ، وهو لا يعلم ما ينتظره أمامه من عظائم التاريخ التى ستكون له فى جهاده ليفتح الأقطار ويحمل إليها بلاغة العروبة وأخلاقها ، وهداية الإسلام وسعادته .

استجابته للدعوة الإسلامية :

ولما ظهرت الدعوة الإسلامية ، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاته ورسله إلى القبائل ، حضر إلى منازل بنى سعد بن زيد مناة بن تميم فى الأحساء (اليمامة) رسول من بنى سُليم دعاهم إلى الإسلام ، وكان الأحنف يصغى إلى أقوال هذا الرسول بفطرته السليمة ، فأثنى على ما سمعه منه ، وقال له : « والله إنك لتدعونا إلى خير ، وتأمر به » . وقد جاء فى مسند الإمام أحمد (٥ : ٣٧٢ الطبعة الأولى) من حديث الحسن البصرى أن كلمة الأحنف نقلت يومئذ للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم اغفر للأحنف » . فكان الأحنف يقول عن هذه الدعوة النبوية : « ما أنا بشىء أرجى منى لها » .

وروى الحافظ بن عساكر أن الأحنف لما وفد على عمر بفتح (تستر) شهد له أحد المهاجرين الذين كانوا فى وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قوم الأحنف بأن الأحنف كفّ عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من همّ بهم من سفهاء قومه .

وكان من أثر الفطرة السليمة الطاهرة التى فطر الله العرب عليها ، والإدراك الناضج الذى اتصف به أمثال الأحنف بن قيس من بنى سعد بن زيد مناة أن قرر رهط الأحنف — بنو مرة بن عبيد — إرسال صدقات أموالهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم لتستعمل فى الجهاد ، وليكون أصحابها عضوا فى الكيان الإسلامى . واختاروا لإيصال هذه الصدقات إلى النبى صلى الله عليه وسلم عكراش بن ذؤيب ، فأصبح الأحنف من ذلك اليوم ، بل من الساعة التى أثنى فيها على دعوة الإسلام بأنها « دعوة الخير » معدودا من المؤمنين بالإسلام ، إلا أنه لم يكن من نصيبه السفر إلى الحجاز ولقاء النبى صلى الله

عليه وسلم ، وإن كان فى الحقيقة من الطبقة الأولى فى (التابعين) رضوان الله عليهم جميعاً .

فى خلافة أبى بكر

وكان الأحنف فى خلافة أبى بكر من عامة الشباب فى بنى تميم ، ولم يكن له من السن ولا من التقدم فى السيادة ما يجعله صاحب ذكر مشهور فى الناس ؛ فلم نعلم عنه فى السنوات الأولى بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم إلا أنه ذهب مع عمه (المتشمس) ليشاهد مسيلمة متنبئ بنى حنيفة ، فلما انصرفا عنه كان حديث الأحنف مع عمه فى كذب هذا المتنبئ ، ومازحه عمه فقال له : ألا تخشى أن أخبره بتكذيبك إياه ؟ فقال له أحالفك عنده ، فهل تحلف أنك لم تكذبه كما كذبته ؟ وهكذا كان باطل مسيلمة موضع فكاهة هذين الحكيمين الحليمين .

فى خلافة عمر

وكانت خلافة أبى بكر قصيرة الأمد ، وبانقضاء حروب الردة كانت بنو مرة بن عبيد رهط الأحنف ؛ بل أكثر بنى سعد بن زيد مناة ، بل معظم حملة السلاح من بنى تميم ، يرحلون من منازلهم فى الأحساء ونجد إلى نواحى البصرة والكوفة ليشاركوا فى جهاد فارس وفتوحها وكان فتاهم الأحنف قد أخذ يتألق نجمه وتتفتح مداركه ، ويظهر لقومه نبوغه وكانوا جميعا منهمكين فى حروبهم مع الهرمزان حتى فتح الله لهم سوق الأهواز ، ومناذر ، وانتصروا تلك الانتصارات الباهرة على ضفاف نهر تيرى ، فتقدمت بالأحنف مواهبه إلى مراكز القيادة ، وصار يعد من رءوس بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وذوى الرأى والصلاح من رجالهم .

وفوده على عمر

وفد الأحنف على عمر مرات ، فوفد عليه مرة فى إمارة عتبة بن غزوان على العراق ، ومرة فى إمارة أبى موسى الأشعرى ، ومرة عند تسليم الهرمزان وتظاهره بالإسلام . وأخبار الأحنف فى وفوده على عمر المرة بعد المرة تداخل بعضها فى بعض ، وقد حفظ الرواة ما وقع له فيها ، غير أنهم يختلفون فى تعيين أوقات الوقائع . وفى الإمكان تمييز ذلك وتنظيمه لمن يتسع لذلك وقته .

فمن ذلك أن عمر كتب إلى عتبة بن غزوان أن يوفد عشرة من صلحاء جند البصرة ليستطلع منهم خبر جيوشه ، فأوفد إليه اثنين من الصحابة المهاجرين : سلمى بن القين وحرملة بن مريطة ، واثنين من بنى العدوية من بنى حنظلة : غالباً الوائلى وكليب وائل الكليبى ، وكان الأحنف بن قيس التميمى فى هذا الوفد . فلما مثلوا بين يديه ، وسألهم عن حوائجهم وحوائج عامة الجيش قالوا : أما العامة فأنت صاحبها ، ولم يبق إلا خواصُّ أنفسنا ، فطلبوا لأنفسهم . وكان الأحنف فى آخر القوم — لحداثة سنه — فلما سأله عمر حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال :

« أما بعد يا أمير المؤمنين فإن أهل مصر (أى الجند الذى ذهب لفتح مصر) نزلوا منازل فرعون وأصحابه ، وإن أهل الشام (يعنى المجاهدين الذين ذهبوا لفتحها) نزلوا منازل قيصر ، وإن أهل فارس (يعنى بنى تميم وغيرهم ممن كانوا فى الكوفة) نزلوا منازل كسرى ومصانعه فى الأنهار العذبة ، والجنان المخصبة ، وفى مثل حدقة البعير الغاسقة من العيون العذاب ، والجنان الحصاب ، فتأتيهم ثمارهم ولم تخضد ، وإن أهل البصرة (يعنى قومه من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم الذين يحاربون الهرمزان فى الأهواز) نزلوا فى أرض سبخة هشاشة ، زعقة نشاشة ، لا يجف ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، طرفها فى بحر أجاج ، والطرف الآخر فى الفلاة ، لا يأتينا شىء إلا مثل مرى النعامة ، فارفع خسيستنا ، وأنعش ركيستنا ، وزد فى عيالنا عيالا ، وفى رجالنا رجالا ، وضع درهمنا ، وأكثر قفيزنا ، ومر لنا بنهر نستعذب منه الماء » .

فقال عمر لبقية الوفد : « هلا تحريتم أن تكونوا مثل هذا ؟ هذا والله السيد » وعرض عليه الجائزة ، فقال الأحنف :

— يا أمير المؤمنين ، والله ما قطعنا الفلوات ، ودأبنا الروحات والعشيات للجوائز وما حاجتى إلاَّ حاجة من خلفت .

فزاده ذلك عند عمر تقدماً ، وقال فيه : « هذا الغلام سيد أهل البصرة » . وتوسم فيه أنه سيكون له شأن ، فاستبقاه عنده فى المدينة سنة ليكون على اتصال بشيوخ الصحابة الواقفين على سنن الإسلام وأغراض رسالته ، ثم ليزداد عمر اختباراً له واطمئناناً لما سيتولاه من الأمر .

ولما انصرف الوفد إلى رحالهم ، نظر عمر فى ثيابهم فوجد ثوباً قد خرج طرفه من عيبة ، فشمه ، ثم سأل :

لمن هذا الثوب منكم ؟

قال الأحنف : — لى !

فسأله عمر : بكم أخذته ؟

وكان الأحنف قد اشترى من العراق ثوبين أحدهما بستة عشر درهما لبسه فى الطريق ، والآخر — وهو الذى استنكره عمر — باثنى عشر درهما أبقاه جديداً ليلبسه فى المدينة فلما استنكره عمر لأن من البذخ والترف أن يلبس قائد عظيم من قواد جيشه ثوبا باثنى عشر درهما ، أدرك الأحنف بذكائه وجه استنكار عمر ، وأجابه بأنه اشتراه بثمانية دراهم (قال الأحنف : ولم أكذب غير هذه فى حياتى) ، فقال له عمر :

«فهلا بدون هذا ، ووضعت فضلته موضعا تغنى به مسلماً ؟ حُصُّوا ، وضعوا الفضول مواضعها ، تريحوا أنفسكم وأموالكم ، ولا تسرفوا فتخسروا أنفسكم وأموالكم . إن نظر امرؤ لنفسه وقدم لها يخلف له . »

ولاحظ عمر أن بعض بلاد الفرس التى كانت فتحت تكرر منها الانتقاض والانضمام إلى الهرمزان فى بغيه وحربه ، فسأل الأحنف :

هل ظلمت الذمة ، ولمظلمة نفروا ، أم لغير ذلك ؟

فقال الأحنف : لا ، بل لغير مظلمة ، والناس على ما تحب .

قال عمر : فنعم إذن .

وكتب إلى عتبة بن غزوان والى العراق : أعزب الناس عن الظلم ، واتقوا ، واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغى ، فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه ، وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم ، فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره ، يكن لكم عونا وناصرا .

الهرمزان بالمدينة :

وكتب الله النصر لجند البصرة وجند الكوفة على الهرمزان ، وكان القائد العربى العام على الجيشين أبو سبرة بن أبى رهم ، وكان للأحنف مواقف حربية عظيمة فى هذا النصر ، ولاسيما فى قتال (شهرك) الذى سجل فيه التاريخ لنابتة البصرة من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم الشرف الأعظم ، وأنها أفضل نوابت الأمصار ، وكانت بقيادة الأحنف . فأوفد أبو سبرة وفداً إلى عمر سنة ١٧ فيهم أنس بن مالك والأحنف ابن قيس ، وأرسل الهرمزان معهم ، فقدموا البصرة مع أبى موسى الأشعرى ثم خرجوا

نحو المدينة ، حتى إذا دخلوا هيأوا الهرمزان فى هيئته الرسمية عندما يلبس كسوته من الديباج الذى فيه الذهب ، ووضعوا على رأسه تاجه (الآذين) المكلل بالياقوت كما يراه عمر والمسلمون فى هيئته ، وقصدوا عمر فى منزله بالمدينة فلم يجدوه ، وقالوا لهم : فى المسجد ، فانطلقوا إليه فى المسجد فلم يروه ، ثم دلهم عليه غلمان من أهل المدينة وقالوا لهم :

— إن أمير المؤمنين نائم فى ميمنة المسجد .



وقصة الهرمزان مشهورة حين رأى أمير المؤمنين نائما والدرة معلقة بيده وليس له حارس ولا حاجب ، فقال الهرمزان :

— ينبغى له أن يكون نبيا !

فقالوا : بل يعمل عمل الأنبياء . .

ثم استيقظ عمر فوقع بنظره على الهرمزان بهذه الملابس فقال : أعوذ بالله من النار وأستعين الله .

والقصة مشهورة بتفاصيلها ، وكان للأحنف شرف هذه الوفادة على عمر لما اكتسب من المكانة فى جهاده وقيادته الحكيمة وزعامته فى تميم ومضر .

الأحنف يغير مجرى التاريخ :



وكان عمر متمسكا برأيه فى الاقتصار على ما فتح من فارس ، وأن يمنع جيوشه من التوغل فى المشرق ، ولا سيما بعد أن انكسر الهرمزان وفتح المسلمون الأهواز ، فقال عمر : « حسبنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز . وددت أن بيننا وبين فارس جبلا من نار ، لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم » ، وقال لأهل الكوفة : « وددت أن بينهم وبين الجبل جبلا من نار ، لايصلون إلينا ولا نصل إليهم » .

وفاوض عمر الوفد فى هذا الأمر ، فقال له الأحنف : « يا أمير المؤمنين أخبرك أنك نهيتنا عن الانسياح فى البلاد ، وأمرتنا بالاقتصار على ما فى أيدينا . وإن ملك فارس حى بين أظهرهم ، وإنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم . ولم يجتمع ملكان فاتفقا (أى التقيا) حتى يخرج أحدهما صاحبه . وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئا بعد شىء إلا بانبعاثهم ، وإن ملكهم هو الذى يبعثهم . ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلننسح فى بلادهم حتى نزيله عن فارس ، ونخرجه من مملكته وعز أمته ، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربوا جأشاً » .

فقال عمر للأحنف : صدقتنى والله ، وشرحت لى الأمر عن حقه .

وأذن عمر بالانسياح سنة ١٧ فى بلاد فارس ، وانتهى فى ذلك إلى رأى الأحنف وعرف فضله وصدقه . فساحوا فى سنة ١٨ ، ودفع لواء خراسان إلى الأحنف ، ووزع بقية الألوية على الأبطال من قادة المجاهدين ، ورسم لهم خطة الحرب والتقدم ، ثم جعل يمدهم بالجيوش من ورائهم .

رؤيا يزدجرد :

والملك الذى قال الأحنف لأمير المؤمنين عمر إنه يكيد لدعوة الإسلام من وراء الفتوح فلابد من القضاء عليه للخلاص من هذا الكيد ، هو يزدجرد بن شهريار ابن كسرى . وكان قد انسحب متجها إلى الرى (وهى طهران الآن) ، وبينما كان على محمله يسير به قومه إلى الرى وهو نائم ، وصلوا إلى مخاضة لابد من اجتيازها ، وخافوا إذا نزل بعير محمل يزدجر فى المخاضة أن ينزعج ، فأيقظوه من النوم ، فلما استيقظ عنفهم وقال لهم : كنت أرى رؤيا قطعتم على آخرها . وشاعت هذه الرؤيا الغريبة فى إيران ، وبلغ خبرها العرب ؛ فقد رأى يزدجرد أنه ومحمد صلى الله عليه وسلم واقفان بين يدى الله ، والنبى صلى الله عليه وسلم يناجى ربه فى أمته ، فيقول الله عز وجل أملكهم مائة سنة . فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : زدنى يارب . فيقول عشراً ومائة سنة . فيقول : زدنى يارب . فيقول عشرين ومائة سنة . وفيما كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول زدنى يارب أيقظ الإيرانيون يزدجرد فعنفهم لأنه كان يريد أن يعلم مدة هذه الأمة التى قلبت العروش ، وفتح الله لها ولدعوتها أمنع البلاد وأقواها .

نار المجوسية فى خراسان :

ومضى يزدجرد فى طريقه وهو يحمل نار المجوسية معه ، حتى أتى خراسان فاختار منها مدينة (مرو الشاهجان) لنار المجوسية وبنى لها فيها (بيت النار) واطمأن من أن يؤتى ، وأخذ يكاتب المقاطعات الإيرانية التى لم تصل إليها خيل العرب محاولا تنظيم قواتها ، وترتيب أسباب الدفاع عنها ، وجمع كلمة الأقوياء من رجالها .

وكان العرب قبل ذلك فى تردد من أمر الجهاد ، لموقف عمر من أمر المشرق ، ورغبته فى الاكتفاء بما فتح الله له . فلما أقنعه الأحنف بالانسياح لمطاردة يزدجرد ، وكان الرأى ما رآه الأحنف لأن يزدجرد ونار المجوسية كانا يعملان على جمع شمل الباطل لمقاومة الحق حتى لو كف الحق عن الباطل . فلما خار الله لعمر أن يواصل الزحف ، كان تميم تحت ألوية الأحنف ، وغيرها من قبائل العرب تحت ألوية قادتهم متأهبين جميعاً لإعلاء كلمة الله .

« يتبع »

خاطرة

عزة ساجدة!

قيل إن نابليون بونابرت وقف مرة يستقبل حشوداً من الجماهير جاءت لتحيته ، فقال له أحد حاشيته : هؤلاء كلهم ياسيدى يهتفون لك .. فابتسم نابليون ، وقال : أعلم أنهم يهتفون اليوم لى ، وأعلم أيضاً أننى لو أخذت غداً إلى المشنقة لكانوا أشد هتافا لغيرى ..

هذه كلمة رجل من رجال التاريخ ، إذا صحت روايتها عنه فهى تكشف عن جانبين من جوانب نفسه المتمردة .. أحدهما جانب القوة الطاغية التى جملته يرد كل شىء إليها ، ولايرى لغيرها فضلا ؛ فكل نجاح أحرزه إنما أحرزه بقوته ، وكل فكرة تراوده لاسبيل إلى تحقيقها إلا بالقوة ، وهذه الجماهير المحتشدة الهاتفة لم يحشدها غير القوة ، لأنه لم يرها تهتف له حين لم يكن قويا .. فما الذى يشدها إليه بعد أن تذهب عنه قوته ؟

والجانب الثانى هو أنه لم يكن يضع هذه الجماهير فى حسابه حين يقدر أمراً ، وإذا وضعها فهى فى موضع الإذعان لقوته ، تفعل ما يشاء ، وتهتف له مادام قويا ، فإذا أفلتت منه أسباب القوة فقد جرد من كل شىء ، ولم يعد ثم نسب بينه وبين الحشود التى كانت بالأمس ملء السمع والبصر !

هذه نفس نابليون : أطغاها الاعتداد بالقوة ، والاهتمام بها وحدها من دون الحق والناس ؛ لذلك لم يكن عجيبا ، بل كان عدلا ، أن يتخلى عنه الناس حين تخلت عنه قوته ، وأن يلقى مصيره الذى لقيه فى منفاه .

***

إن إعداد أسباب القوة لحماية الحق حق لامرية فيه ، ولكن قيام القوة بغير وازع من الحق خطر محقق .

ثم إن هناك غير هذه القوة المادية قوة أخرى روحية هى الصدى المبارك لدعوة الحق ، والثمرة الطبيعية لمبادئه وسلطانه ، أعنى بها قوة الإيمان وحب الخير وروح الكفاح النبيل فى أنفس الناس .

وكل هذه معان فطر الله الناس عليها ، وجعلها فيهم صلة النسب بينهم وبين الحق . قد يضل أكثرهم ، وتطغى على هذه المعانى لديهم أهواء وشهوات ، ولكن القلة الباقية تكفى دائما لرد طغيان الباطل وإقامة بناء الحق . . هذا إذا أحسنت سياستها وجلى جوهرها ، وجندت معانى الخير فيها ، ووثق مابينها وبين الحق من نسب عميق : وهذا هو المحك الصادق للقيادات المختلفة ، وبقدر ماينجحون فى استخلاص هذه القلة ، على هذه الأسس ، يكون نجاحهم فى إقرار دعائم بناء جديد ، وقوتهم الروحية قبل أن تتهيأ لهم أسباب القوة المادية ، ثم بقدر ذلك يكون بقاؤهم خالصين للحق بعد أن يصبحوا أقوياء .

ذكرت ذلك كله ، فأشرقت فى نفسى صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، مكة التى أخرجته هو وأصحابه ، ورأيته يدخلها غازياً منتصراً فى عشرة آلاف من جنده ، وإن لحيته لتمس عنق رحله تواضعاً لله عز وجل ، دخلها بعزة المؤمن : عزة ساجدة لله رب العالمين . . أما عزة البطر والخيلاء فهى عزة يتولى الله إحباطها ، ويذل أهلها كما أذل قريشاً لأنه لايقبل أن يشرك به .

حول السياسات الاقتصادية

للأستاذ عيسى عبده إبراهيم

أستاذ إدارة الأعمال بكلية التجارة بجامعة إبراهيم

(٢)

« فى الجزء الأول من هذا البحث ، قلنا بأن الحجة الكبرى لتبرير التعامل بالربا ، هى انتظار المقرض ، وصومه عن المتاع العاجل ، وفيما يلى حلقة ثانية من هذا الحديث » .

الانتظار أيضا

يقول بعض المحدثين من رجال الاقتصاد بأن تأسيس المعاملات الربوية ، فيما بين الأفراد وفى نظام الصيرفة على الانتظار ، قد تم العدول عنه إلى أساس علمى صحيح .

وبالتالى ينبغى لنا أن نصرف النظر عن حجة الانتظار لأنها فى رأيهم عتيقة ، وقد استجد ما هو صحيح فى تبرير الفائدة والربا .

ويقولون فى تتمة حديثهم بأن المبرر العلمى للجزاء الثابت الذى يقتضيه المقرض نظير تقديمه رأس المال لفترة من الزمن ، هو التفاوت فيما بين الناس فى درجة التلهف على الأخذ بنصيب من المتاع ، أو بعبارة أخرى ، هو التفاوت فى الإقبال السريع على الاستهلاك .

وهم فى ذلك يتابعون الكتاب الذين يريدون أن يفرقوا بين الانتظار waiting وبين المفاضلة فى زمن الاستهلاك time preference فإذا كان زيد من الناس لا يصبر على المنفعة العاجلة فإنه يخصم المستقبل discount the future على حين أن غيره يرضى بالتأخير ويفضل المتاع المؤجل فى سن الشيخوخة مثلا على المتاع العاجل فى سن الشباب . ومن هنا جاءهم هذا التعبير المستحدث time preference ويخرجون من هذا كله إلى القول بأن المبرر لكل من الفائدة والربا هو التفاوت فى اختيار زمن الاستهلاك وما هو بالانتظار ، كما قالت جمهرة كتاب الغرب إلى عهد قريب .

وينبغى لنا أن نتأمل هذا الحديث طويلا لنرى فيه لوثة الاستعمار كيف تصيب أقلام الكتاب ، وتطغى على كل شىء ، حتى على البحوث العلمية .

ذلك أن الغرب الذى يدرك تماما أن عصره قد أدبر ، يجاهد فى سبيل إضفاء الألوان

الزاهية على ماخلق من مسوخ ليصرف النظر عن بشاعة الصورة بما يكتنفها من المحسنات . يقولون الآن بالتعاون فيما بين الشعوب المتقدمة والمتخلفة ، أو يقولون بدخولهم جميعا فى اتحادات ومنظمات كالاتحاد الفرنسى مثلا أو الكومونولث البريطانى ، وينكرون أن هذه الأوضاع المستحدثة هى صور من الاستعمار الذى جاءت به الثورة الصناعية ، ومن قبل ما نادوا بالانتداب والوصاية والحماية والضم إلى التاج ... ومن قبل ما جاءوا بالكثير من المصطلحات ليصرفوا الناس عن بشاعة الاستعمار السافر . فهل تغيرت حقيقة العلاقة بين الغاصب وبين المغلوب على أمره ، لمجرد تغيير الأسماء والأوصاف ؟ الجواب عندنا نحن معاشر الشرقيين ، فقد بلونا من الغرب وتلاعبه قدراً كافيا لتنبيه الأذهان .. والآن يريدون أن يلطفوا من وقع جريمة الانتظار كسبب من أسباب العيش ،فيقولون بأن تصرف المقرض لم يكن من قبيل الانتظار بل من قبيل الإيثار ، فهو يرضى بالراحة المؤجلة وبالمتاع المؤخر ، وغيره يريد المتاع القريب ، وعلى هذا الأساس كان التفاوت الزمنى time preference فهل تثبت هذه المحاولة على المناقشة العلمية ؟

إن التفاوت فى التفضيل معروف فى دراسة الاقتصاد وهو مستفاد من دراسة النفس . فلكل منا مزاجه الخاص ، أو كما يقولون لكل منا سلم تفضيل Scale of preference بمعنى أن أحدنا يقدم سلعة معينة ويؤخر سلعة غيرها . فاذا كانت موارده لا تكفى لإشباع جميع حاجاته فإنه يبدأ بإشباع أكثر الحاجات إلحاحاً ثم يثنى بإشباع حاجة أخرى ، وهكذا . . . وكلما هبط فى سلم التفضيل تأخر إشباع الحاجات أو اضطر إلى العدول عن الاستهلاك لنفاد الموارد ، وهذه الظاهرة العلمية بسيطة جدا وملموسة فى حياتنا اليومية ، فمثلا نجد أن زيدا يحرص على شراء لفائف التبغ أولا ثم قوت يومه ، ثم يلقى بعد ذلك بما تبقى لأسرته ، سواء فى ذلك أكان هذا الباقى كافيا للأسرة أو غير كاف ونجد غيره من الناس يحجز ثمن تذكرة السينما أولاً ، ولفائف التبغ ثانيا الخ . ونجد ثالثاً يخصف النعل ويرقع القميص ويمشى إلى مقر عمله حتى يتجنب نفقة الترام ، وكل ذلك فى سبيل ادخار نفقات التعليم لأبنائه ، لأن هذا الأخير يحتل مستقبل أبنائه وصلاح أمرهم فى المحل الأول ، وما دون ذلك من الحاجات يجىء دور إشباعه فيما بعد ، إذا لم تنضب الموارد . . . هذا هو التفاوت بين الناس فى تفضيل حاجة على أخرى عند توجيه الموارد إلى أبواب الإنفاق

ويريد المحدثون أن يتوسعوا فى التفضيل بأن يصرفوه إلى زمن الإشباع أيضا . وبالتالى لا يكون التفاوت مقصوراً على شدة إلحاح الحاجات فى وقت واحد ، بل يمتد

التفاوت إلى زمن الاستهلاك ، بحيث نجد أن طائفة من الناس لا تصبر ، وطائفة أخرى ترضى بالصبر وتؤثر المتاع المؤجل .

وهذا تحليل حسن وله سند على أساسه دراسة النفس ، وليس لنا عليه اعتراض. ولكن ، أى جديد من المعانى تجىء به هذه المحاولات ؟

لنفرض أن زيداً قد بالغ فى الإقلال من حاجاته العاجلة . وأنه قد فضل المتاع المؤجل على المتاع القريب ، فماذا بعد ذلك ؟ لقد ادخر وأوجد رأس المال لأنه لا يتهافت على الاستهلاك القريب كما يفعل غيره . . . فماذا بعد ذلك أيضا ؟ لا شىء إلا أن نصل إلى قضيتنا الأولى : لقد سلمنا بأن السبب فى الكف عن المتاع العاجل هو أن زيداً هذا يفضل الزمن البعيد على الزمن القريب عند إشباع حاجاته ، ولكن ماذا هو صانع بمدخراته ؟ هل هو مقبل على تثميرها لتنمو نموا طبيعيا تكتنفه المخاطرة ، أم أنه سيسلم مدخراته إلى غيره ، ويلقى على سواه من الناس عبء التثمير والمخاطرة ؟

هذا هو السؤال الذى ناقشناه من أول الأمر ، فإن كان صاحب المدخرات يتولى تثميرها بمعرفته أو بالمشاركة مع غيره ، فهو تاجر يتعرض للربح كما يتعرض للخسارة .

أما إذا أقرض وحدد جزاءه سلفا وكف عن تحمل المخاطرة بأن تركها لغيره ، فإنه لم يبق له من عمل إلا أن ينتظر . وهذا هو الموقف السلبى ، الذى قلنا عنه بأنه كف عن كل عمل إيجابى ينتج ، مع الاستمرار فى استهلاك الطيبات .

قد يكون الدافع إلى الادخار هو تفضيل المتاع المؤجل ، وفى هذا تفاوت بين الطباع من حيث درجة التلهف أو من حيث احتمال الصوم عن طيبة بعينها .

ولكن ما هو العمل الذى يؤديه هذا الصابر المدفوع بتفضيل المتاع المؤجل . . ؟ لا شىء إلا أن ينتظر وغيره يعمل .

وهكذا يتضح لنا أن الغرب يدور فى حلقة مفرغة . وكلما تقدم فى دورانه جاء بجديد من الألفاظ أو المصطلحات ، مع ارتكازه دائماً على محور ثابت . يريد أن يصرفنا عن حقيقة فلسفته البائرة القائمة على تفضيل بعض الأجناس على بعض ، فهو طوراً يقول بفضل الرجل الأبيض ، وطوراً يقول بفضل المدنية المسيحية . وطوراً يستخفى وراء الكنايات والاستعارات . ولا ينبغى لنا أن ننصرف عن المعانى الخفية وراء كل مستحدث من المصطلحات ، لأنها بعينها تلك المعانى التى جاءت مع الحروب الصليبية من القرن الحادي عشر إلى الآن . وسنرى بجلاء أن المعاملات الربوية قد كانت دائماً

ولا تزال أداة عاتية من أدوات الاستعمار . وليس للربا من مبرر إلا دعوى الغاصب بأنه من حقه أن ينتظر ، وغيره يكدح .

ومن الخير أن نلقى نظرة عاجلة على بعض المعاملات الربوية فى الزحف الاستعمارى الذى اشتدت وطأته فى القرنين الأخيرين .

تمويل البلاد المتخلفة :

ظهرت هذه السياسة المالية بوضوح بعد الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٨٩ وبلغت مداها فى أوائل القرن العشرين ، ثم جاءت الحرب الكبرى ١٤ / ١٨ بأول ريح عاتية زعزعت أركانها ، ثم توالت عليها الأحداث ، ولا تزال .

ومجمل القول فى هذا الاستغلال الظالم أن رؤوس الأموال الغربية جعلت تفد فى وفرة متزايدة إلى ما يعرف عندهم بالبلاد المتخلفة . فكان نصيب هذه الشعوب المتخلفة العمل الدائب فى جهالة وظلام ، لتظفر رؤوس الأموال بفوائد ربوية فاحشة . وإذا كان الاستعمار قد سبق هذا التاريخ إلى بعض البلاد الشرقية ، فإن الثورة الفرنسية تعتبر حادثا ضخما فى تاريخ المعاملات الربوية بين الغرب والشرق . . .

لقد قيل بأن هذه الثورة قامت لتعلن حقوق الإنسان ، وما أبعد هذا القول عن الإنصاف . لقد كفلت الشرائع السماوية هذه الحقوق ، وجاء الإسلام بنهج واضح لا قصور فيه ولا إسراف ، أما الثورة الفرنسية فقد اندلع لهيبها فى ١٤ يولية ١٧٨٩ ، وكانت مذابحها ومهازلها لا تزال تفزع الأرض ، حين اجتمعت الجمعية الوطنية ، وتليت فيها الوثائق وأعلنت المواثيق ، ومنها ذلك الميثاق الفاجر الذى لا تزال حروفه تلفح وجوهنا نحن معاشر الشرقيين إلى الآن . . . كان ذلك فى أكتوبر سنة ١٧٨٩ حين عكف رجلان أحدهما الكاردينال تاليران والآخر ضابط صغير يدعى نابليون بونابرت ، فاستعادا ما سمعاه عن وثائق الصليبيين من القرن الثالث عشر ، وما أوصوا به من اقتطاع برزخ السويس من أراضى المسلمين لإنشاء دولة مسيحية تربط الغرب بالشرقين الأدنى والأقصى . وتعاهد الرجلان على تنفيذ وصية كتبها قائد صليبى فى سنة ١٢٤٩ ، وشد أزرهما ذلك الشوق الشديد إلى منازلة إنجلترا فى طريق الهند ، وهكذا بدأ تدبير حملة نابليون التى قام بها فى سنة ١٧٩٨ ، فى نفس الجلسات التى أعلنت فيها حقوق الإنسان . . .

هذا التاريخ ١٧٨٩ الذى سقطت فيه الملكية فى فرنسا هو التاريخ الذى تحولت فيه فرنسا إلى منازلة غريمتها بريطانيا ، فبدأ السباق إلى الشرق ، وشهد القرن التاسع عشر فلسفة بائرة ، من القروض وعقود الامتياز ، وفى هذه الحقبة التى أشرنا إليها فى أول المقال ، تطورت النظريات الاقتصادية تطوراً خطيراً لتلائم الفتوح الغاشمة ، وإن تاريخ القروض التى عقدها الغرب للشرق ، أو التى فرضها الغرب على الشرق ، فى مصر وفى تونس وفى تركيا وفى إيران وفى كثير من البلاد الإسلامية هو تاريخ للربا فى أبشع صوره .

وأريد أن أنبه هنـــا إلى أن لفظة القرض فى دراسة التمويل وسوق المال ، تفيد معنى عاما ينصرف إلى رؤوس الأموال الوافدة من جهة إلى أخرى ، أو التى تنشغل بها الذمة المالية للمدين لصالح الممول . سواء فى ذلك اتخذت هذه القروض شكل السندات الحكومية أم أسهما فى مرفق كقناة السويس ، أم شركة امتياز لاستغلال ما فى بطن الأرض من الكنوز كالمواد البترولية مثلا . . .

وما كان على الغرب إلا أن ينشىء الشركة أو يعقد القرض ، ثم تكدح الشعوب ، فتزداد ثروة المقرض أضعافا ، وتنحط قوى الشعوب المقترضة .

وهنا مسألة خطيرة يمر عليها الباحثون دون تركيز الاهتمام ودون إلقاء ضوء كاف . . . أصحيح أن هذا الغرب قد جاء برؤوس أموال من عنده إلى الشرق ؟ ؟

لا والله الذى أحل البيع وحرم الربا ، ما جاءوا برؤوس أموال وإنما جاءوا بالدهاء وبعلوم الماديات التى تأخرنا فيها لأسباب لا محل لذكرها ، خشية الاستطراد .

رؤوس الأموال هنا فى الشرق ، حازوها ختلا واغتصابا ثم رابوا بها علينا وعلى كل بلد مستضعف .

ومن أشق الأمثلة على النفس ما فعلوه بمصر مثلا ، وهنالك وقائع لا يكاد العقل يقبلها لولا أن الوثائق الدامغة تحصيها على قراصنة الغرب ، فمثلا قيـــل بأن الخديو إسماعيل باع نصيب مصر فى أسهم القناة فى سنة ١٨٧٥ بما يقرب من أربعة ملايين جنيه .

وتقول الوثائق بأن مصر لم تأخذ هذا الثمن بل استولى عليه بعض المرابين استيفاء لما استحق لهم من الفوائد ، ثم إن مصر كانت محرومة من أرباح هذه الأسهم إلى سنة ١٨٩٤ ، باتفاقية غادرة أملاها دليسبس فى سنة ١٨٦٩ فى إحدى التسويات الكثيرة التى أجراها على حساب مصر . فلما استقرت الأسهم فى أيدى الإنجليز فى سنة ١٨٧٥ طالبوا بتعويض عن الحرمان من الأرباح ، وفرضوا على مصر فائدة مقدارها ٥ ٪ لمدة عشرين سنة أى إلى سنة ١٨٩٤ فدفعت مصر هذه الخمسة فى المائة لمدة عشرين سنة : أى

دفعت الثمن الذى قيل بأنها أخذته ، وهذا مثل من أمثلة الربا الفاجر ، فمصر تشق فى شق القناة ، ويهلك من أبنائها مائة ألف ، وتشق الترعة الحلوة . وتنفق ستة عشر مليونا فى مشروع القناة ، وتعرض سيادتها للرياح الهوج . . . وحملة الأسهم يرقبون هذا الشعب الكادح الصابر ، وينتظرون مرور العام ليأخذوا الفوائد جزاء الانتظار .

ومثل آخر يفرض على القلم أن يستطرد إليه فى الحاح شديد ، ذلك أنه فى سنة ١٨٨٠ كان قد بقى لمصر ١٥ ٪ من ربح القناة وكان إسماعيل قد خلع ، وجاء من هو أضعف منه ، ففرض على مصر أن تبيع حصتها بثمانمائة وخمسين ألفاً ، ذهبت لسد بعض الفوائد الربوية ولم تقبض منها مصر شيئاً . . . اشترى هذه الحصة بعض الدائنين ، وأقاموا فيما بينهم شركة أسموها الشركة المدنية لقبض حصة الحكومة المصرية البالغة ١٥ ٪ . . . أى والله هكذا أسموها ، وهذا هو عملها... عملها أن ترقب دورة الفلك ليمر العام ، فتنال جزاء ما صبرت ، وما انتظرت ، ربحاً بلغ أخيراً مليونا كاملا فى العام ، حتى إن جملة ما حصلته الشركة المدنية المذكورة للان ، نظير انتظارها الكريم المنتج ، يزيد على خمسين مليونا من الجنيهات . . .

لقد حفل التاريخ مذ كان فى هذه الأرض مدنيات فى خلال ستة آلاف عام ، بآثار من الربا والخلاف عليه ، ولقد نشطت الديانة المسيحية فى الغرب وضربت على أيدى المرابين ، وعنيت الكنيسة بإعلان الحرب على الربا ولكن هذا التاريخ الطويل لم يسجل من المعاملات الربوية الغادرة ما سجله الغرب فى استنزاف موارد الشعوب الإسلامية . ولقد خفت وطأة الربا والخلاف عليه فى القرون الوسطى إلى ما قبل الثورة الفرنسية . فلما انتشر الاستعمار وتكتل الغرب لأكل أفريقيا وآسيا سكت الخلاف فيما بينهم ، لأنهم لم يجدوا نظاما يسرع بهم إلى غايتهم إلا تسليط المرابين على هاتين القارتين وشعوبهما .

وشهدت هذه الحقبة ذاتها تطوراً هائلا فى أنظمة الصيرفة ، وإصدار النقود المعدنية والورقية والحسابية والشيكات ، وكلما أعوزتهم الحيل جاءوا بجديد مستحدث من العدول عن قاعدة الذهب والرجوع إلى قاعدة الذهب ، ومن الجداول القابلة للتحويل وغير القابلة ، وأقاموا منظمات دولية للنقد وللقروض . ولا بد لنا من دراسة هذا كله وبيان دوافعه وأهدافه ، لأنه جهاز ضخم وجبار من أجهزة الاستعمار . ولا ينبغى لنا أن ندرس هذه الأنظمة على أنها وليدة العلم الخالص النزيه ، أو الكفاية العالية التى ينبغى لنا أن نسترشد بها . . .

إنى أنكر ذلك ، وأقرر بأن أنظمة الغرب قد وضعت لتيسير الحصول على موارد الشرق بأقل الأثمان أو بغير ثمن ، وكانت أنظمة العملات والمصارف والفوائد . . . الخ من أدوات هذه القرصنة العالمية .

لست أقول بهدم النظام المصرفى وأنظمة العملة ، بل أقول بأنها من حقوق السيادة تباشرها الدول فى أراضيها .

ولست أقول بأن الأنظمة التى جاء بها الغرب من قروض وعقود امتياز وفوائد ربوية — مهما قل شأنها — قد استهدفت أى خير أو حققت أية مصلحة ، بل أقول بأنها جاءت شاهدة بالتطبيق العملى ، بأن حكمة التحريم المطلق للربا بأنواعه قد قد غابت عنا .

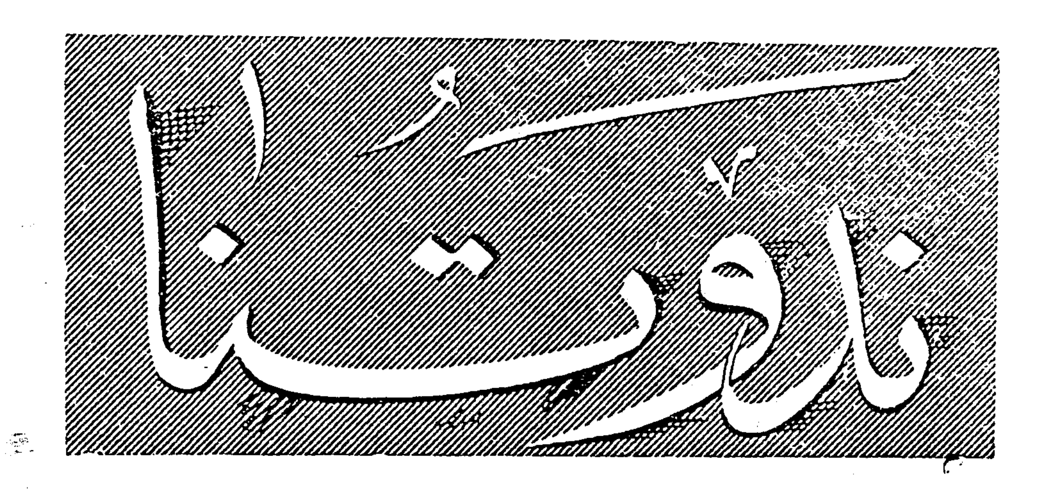
فما من أمر أو نهى جاءت به الشريعة إلا وفيه مصلحة ظاهرة . قد تدق على الفهم أحياناً ، ولكنها حقيقة لا محالة واقعة .

(الحديث موصول)



« آه لو استطعنا أن نفتح آذاننا ونغلقها بمثل السهولة التى نفتح بها عيوننا ونغمضها ؛ إذاً لتجنبنا سماع كثير من الباطل » .

« العالم ليختنبرج »



هذه رسالة كريمة من الأخ الأستاذ محمد بن سالم القاضى اليافعى من فكالوغن بأندونيسيا :

أما بعد : لما رأيت أن مجلة « المسلمون » اسم على مسمى ، مجلة دينية نافعة لكل مسلم ، كل عدد أحسن مما قبله تمثلت بقول الشاعر :

وإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

وهى مفيدة لنا بمسائل كثيرة ؛ فكل من يشترك فيها إذا أراد أن يبحث عن مسألة دينية يسهل عليه ذلك بمراجعة المجلة فقط ، ولا يحتاج إلى مراجعة الكتب المطولة فربما يصعب عليه ذلك لعدم وجود الكتب عنده ، فلهذا تكون المجلة حجته دائما . وأرجو من جميع العلماء الذين تنشر أقوالهم فى هذه المجلة أن يتحروا فى أقوالهم حتى لا يحتاج قولهم إلى تعليق ولا يحتاج إلى مراجعة ؛ وهنا تحصل الفائدة إن شاء الله . وأنا قد قرأت هذه المجلة لأنى من المشتركين فيها ، واستحسنت أن أعلق على أربع مسائل ، وإن كنت غير أهل لذلك لضعف لغتى ونقص فهمى ، ولكن رأيت الباب مفتوحاً .

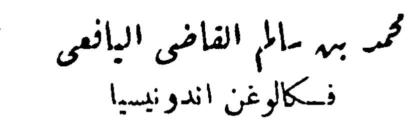
المسألة الأولى : فى العدد الأول صفحة ٢٣ يقول الأستاذ الفاضل الدكتور معروف الدواليبى إن القرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم منجما من ليلة السابع عشر من رمضان . من أين حجته على ذلك لأن الله عز وجل يقول : شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن . إنا أنزلناه فى ليلة مباركة . إنا أنزلناه فى ليلة القدر . والمعنى ظاهر من الآية الأولى أن القرآن أنزل فى شهر رمضان والليلة مجهولة عندنا ، فان كان حجته من الحديث ، فالأحاديث المتواترة المتفق عليها عند أهل الحديث أن ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان وهى التى أنزل فيها القرآن . قال الحافظ ابن حجر العسقلانى : وأرجاها عند الجمهور ليلة سبع وعشرين .

المسألة الثانية : فى العدد الأول صفحة ٧٠ استدل الشيخ الفاضل مصطفى الزرقا بحديث : الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين . هذا الحديث لا يحتج به وإن كان معناه صحيحاً . قال مؤلف كتاب أسنى المطالب فى أحاديث مختلفة المراتب : حديث الصلاة عماد الدين قال النووى منكر وباطل . وقد علق على هـذا الحديث الحافظ العراقى فى الجزء الأول من الإحياء بأنه غير معروف .

المسألة الثالثة : فى العدد الثامن صفحة ٢٣ لا والله لا يفلحون . لما جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله . فالقسم بلا والله لا يفلحون غير مناسب فى هذا الموضوع ؛ لأن الله عز وجل يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم بعد ما قال ذلك : ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون (سورة آل عمران) ومن الذين تاب الله عليهم خالد بن الوليد وقد كان فى مقدمة المشركين ، وغيره من قريش الذين أسلموا ، فهؤلاء قد أفلحوا .

المسألة الرابعة : فى العدد العاشر صفحة ٤ كيف نحج ونزور لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبى قال فى أثناء كلامه فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم : والناس يقصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمرين جليلين يتوقف عليهما صلاح الدنيا والآخرة : أما الأول فطلب المغفرة من الله عز شأنه وهو مقصد جليل ندبنا سبحانه إليه وشرع لنا سبيله بقوله الكريم : ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما (سورة النساء) فهذه الآية التى استدل بها الأستاذ لا تطابق المعنى الذى يقصده ، فليس فيها دليل على زيارته صلى الله عليه وسلم وليس فيها دليل أن الاستغفار مطلوب عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم بل ولا أى دعاء ، ولست أقصد من ذلك أن زيارة قبر النبى (ص) ممنوعة . وإنما لم أجد لأحد من العلماء المحققين أن الدعاء مطلوب عند قبر النبى (ص) . قال الشيخ أحمد بن ناصر بن عثمان بن معمر الحنبلى : والأحاديث التى تذكر فى زيارة قبر النبى (ص) ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هى موضوعة فليس فى زيارة قبر النبى (ص) حديث صحيح ولا ضعيف ، ولا يروى أهل السنن المعروفة كسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فى ذلك شيئا ، ولا أهل المسانيد المعروفة كمسند أحمد وأبى داود الطيالسى وعبد بن حميد وغيرهم ، ولا أهل المصنفات المعروفة كموطأ مالك وغيره ؛ بل لما سئل الإمام أحمد وهو أعلم الناس فى زمانه بالسنة عن هذه المسألة لم يكن عنده ما يقيمه عليها إلا حديث أبى هريرة عن النبى (ص) أنه قال :

ما من رجل يسلم علىّ إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام . وعلى هذا اعتمد أبو داود فى سننه وكذلك مالك فى الموطأ . روى عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان إذا دخل المسجد قال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبى ، ثم ينصرف . انتهى كلام الشيخ وانتهى ما علقت . فإن أخطأت فى ذلك أو بعضه فأسأل الله أن يهدينى وإخوانى المسلمين إلى الصواب وإن أصبت فالفضل لمن أسس هذه المجلة: أعنى مجلة « المسلمون » بل وكل من مد يده إليها .



فكالوغن اندونيسيا

* * *

ونحن نشكر للأخ الكريم غيرته واهتمامه ، وليس لنا من تعقيب على رسالته إلا أن نذكر أن مقال (كيف نحج ونزور) لم يكتبه فضيلة الأستاذ حسن الهضيبى ، ولكنه لأستاذ فاضل من أسرة التحرير ، وقد كتبنا فى باب ندوتنا حول هذا الموضوع من قبل ما يميل الأخ الفاضل إليه . .

وهذه رسالة من الأخ السيد محمد رؤوف معان من الرقة :

« فى مقال للأستاذ الجليل الشيخ محمد أبى زهرة تحت عنوان « الصوم » فى العدد السابع من السنة الثانية جاء ما يلى :

إن من أخطأ فتناول مفطراً كمن أكل بعد الفجر ظاناً أنه لم يطلع وكمن سبق الماء إلى حلقه فدخل إلى جوفه غير عامد ولا قاصد ، فقد قال أبو حنيفة وأصحابه إنه يفطر . . . وقال أحمد والشافعى لا يفطر وتم صومه ولا قضاء .

أما قول الإمام الأعظم فمشهور ومعلوم أنه هو الصواب ، وأما ما قاله الإمام الشافعى من عدم إفطار المخطىء فقد نقبنا فى كتبه فلم نجد أثراً لمثل هذا ، وكذلك لم نعثر فى كتب السادة الشافعية عليه ، ولعلنا قصرنا فى التدقيق فعسى أن يدلنا الأستاذ إلى موضع هذا الرأى فى كتب الأئمة الشافعية ، إلا إذا أراد قول ابن أبى ليلى فإنه يقيسه على النسيان وهذا قياس غير صحيح لأن الاحتراز عنه ممكن بخلاف النسيان ؛ ولعمر فى ذلك قصة مشهورة فقد أفطر يوماً مع الصحابة فلما صعد المؤذن المأذنة قال : الشمس يا أمير المؤمنين ، فقال له عمر : « بعثناك داعياً ولم نبعثك راعياً ، ما تجانفنا لإثم ، وقضاء يوم علينا يسير »

ولعل الأستاذ يدرك أن الظن فى غروب الشمس كالظن بأن الفجر لم يطلع ، كما يعتبر الشافعى سبق الماء إلى الفم ودخوله إلى الجوف من المفطرات ويستوجب القضاء فقد جاء فى المذاهب الأربعة فى مفسدات الصيام : ما إذا زاد عن المضمضة والاستنشاق عن المطلوب شرعاً من الصائم بأن بالغ فيهما ، أو زاد عن الثلاث فترتب على ذلك سبق الماء إلى جوفه فإن عليه القضاء .

وجاء فى المقال نفسه « . . . أنه إن كان الحقن فيه غذاء يستفيد منه الجسم تغذية كالحقن المقوية فإنها تفطر لا محالة لأنه غذاء تحقق فيه معنى الإفطار من كل الوجوه ، وإن كان الحقن لتنقية الجسم من الجراثيم أو تنشيط الأعضاء الخاملة من غير غذاء فإنها تكون غير مفطرة لعدم تحقق معنى الإفطار » .

وفى هذا الرأى أيضاً خالف الأستاذ الجليل آراء الأئمة الكبار ففى كتاب در المختار لابن عابدين يقول : « والمفطر إنما هو الداخل من المنافذ » .

ولا نخالف الأستاذ فى كون الحقن فى المسام تحت الجلد وفى العضل ليس من المفطرات ، وأما إذا كان الحقن فى وريد أو شريان ينقل ما فيه إلى الرئة والقلب وسائر أنحاء الجسم فهو مفطر ولا ريب فى ذلك فقد جاء فى تنوير الأبصار ورد المختار (أو داوى جائفة أو آفة فوصل الدواء حقيقة إلى جوفه ودماغه قضى) ومنه قول أبى حنيفة « المفسد للصوم وصول المفطر إلى باطنه » فالعبرة إذن للواصل لا للمسلك ، وقد تحقق الوصول هنا . والله أعلى وأعلم » .

محمد رؤوف معانه
الرقة

***

ونحن نشكر للأخ الكريم جميل عنايته ، ونترك الرد على ذلك لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد أبى زهرة .

وقد جاءتنا هذه الرسالة الحارة من الأخ الأستاذ إسماعيل عبد المجيد شريف المدرس الثانوى بدمنهور :

« وجه بعض الدعاة الإسلاميين دعوتهم إلى المسلمين والشرقيين وحدهم ، وحجتهم فى ذلك أننا ننهض بالمسلمين والشرقيين أولا ، ثم نوجه عنايتنا بعد ذلك إلى الغرب .

وهذا احتكار غريب لهذه الدعوة العالمية وتفريق وتعصب أشنع من تعصب الغرب للقومية أو الجنس أو اللون .

إن الدعوة المحمدية ـ كما تعلم جيداً أيها الأخ الفاضل ـ لكل إنسان فى هذه الأرض ، لا فرق بين شرق وغرب ، ونحن إذ ننتظر لننهض « بالمسلمين » أو الشرقيين وحدهم فقد تمر دهور قبل أن نصل إلى هـذا الغرض لأن من الشرقيين ولاسيما من زاروا الغرب أو تتلمذوا فى مدارسه وجامعاته وخاب لبهم طلاؤه وبريقه — من لديهم رواسب أوربية تحول بينهم وبين مجرد الاستماع إلى دعوتنا فضلا عن الإيمان بها ، وهم إن تكرموا واستمعوا (فإنما يضيعون وقتا ليس إلا) على حد تعبير بعضهم .

إن الغرب على حافة الهاوية وقد كفر بمبادئه ، ومن أجل ذلك أرسل رواده وطلائعه إلى كل بلاد الدنيا للبحث عن جديد أو مسكن وقتى على الأقل لمشكلاته « وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى » .

إن محمداً قد بعث ليحل مشاكل الشرق والغرب ، ليحل مشاكل الإنسان حيثما وجد لافرق عنده بين شرق وغرب ، ولست أدرى إلى متى نبقى مبعدين أو مشغولين عن مشاكل الأرض وقضاياها .

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود

إن (الكبار) حينما يأتمرون لحل المشاكل ينظرون إليها من زاوية خاصـة تمثل نفعيتهم وماديتهم وجشعهم ؛ ومن أجل ذلك تتعقد البسائط أمامهم لأن نفوسهم وقلوبهم وعقولهم من قبل ذلك معقدة ، ولو أن هذه المشاكل المستعصية عندهم وجه إليها شعاع إسلامى لحلت وفاضت خيرا وبركة على العالمين .

فإلى متى تحجب أشعة الإسلام عن الغرب ؟ ! .

الواقع أننا مسئولون أفرادا وجماعات أمام الله عن ذلك ، ولله الحجة البالغة .

وإلى متى ننتظر ونحن لانضمن الحياة إلى اللحظة التالية ؟ ! .

إن محمدا رسول الله أول ما علمنا علمنا بناء الأمم ورسم سياسة الشعوب وتعديل أوضاع الأرض تعديلا يتفق مع الصالح العام فحسب ، لالهوى أو عصبية قومية أو وطنية أو جنسية أو لونية أو دينية . . فإلى أن تعود إلى قبضتنا نحن المؤمنين بالله ورسله أزمة الأمور لا أقل من أن نوجه هـذه المؤتمرات والشعوب ونسلط عليها أشعة إسلامية خالصة بريئة مجردة ، لا يزاحمها أبدا ادعاء عنصرى أو قومى أو جنسى أو لونى .

ونحن إذ نبعث بتوجيهاتنا وآرائنا إلى هذه المؤتمرات فإنها تساعد فى إنارة الطريق ، وقرب الناس من دعوتنا ، وأول ما يكون أن الصحافة ستنقل هذه الآراء إلى قرائها وشعوبها ؛ وفى قبضة الشعوب اليوم زمام القيادة فى كل الأمم .

أخى سعيد إن المؤمنين بالدعوة اليوم لا يقلون أبدا عن المؤمنين بها فى الصدر الأول استعداداً وعددا ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاتم انبيائه ورسله قد وجّه كتبه ورسله إلى قادة الأمم وزعماء الشعوب وهاجم المشاكل المعقدة التى كانت تقف فى طريق التطور الإنسانى فى الوقت الذى لم يؤمن فيه كل الشرقيين بالدعوة ، بل إن كثيرا من العرب لم يكونوا قد آمنوا بالدعوة الإسلامية وكانوا يحاربون الرسول ومن آمن معه وما آمن معه إلا قليل ، ولما تم صلح الحديبية أرسل الرسول كتبا ورسلا تشرح الدعوة وأغراضها ، وتتناول مشاكل الشعوب إلى كسرى الفرس وقيصر الروم ونجاشى الحبشة والمقوقس حاكم مصر من قبل الرومان وملك البحرين وغير هؤلاء من القادة والرؤساء . وقد كان لذلك وقع كبير جدا فى نفوس الناس أجمعين وانتشار الدعوة ، فابتدأ الغرب ينظرون إلى الدعوة نظرة جديدة أوسع أفقا وأدق فهما ، وتخلص الغرب والشرق من الظلم والاستعباد ، وأدرك الناس كيف يحيون وينتجون ولمن يحيون وينتجون

إن الدعوة التى آخت بين شتى الأجناس والعناصر والأديان والألوان : بين سلمان الفارسى وبلال الحبشى وصهيب الرومى وأبى بكر القرشى ، وأقامت بينهم رابطة أقوى من رابطة الدم والجنس واللون وعاش الناس فى ظلها فى صفاء ووئام — هى التى ستؤاخى اليوم بين الروسى والأمريكى والليابانى والصينى والعربى والإنجليزى والشرقى والغربى .

إن الدعوة التى حلت الألغاز المستعصية أمام الإنسان فى الصدر الأول تلح الحوادث اليوم إلحاحا عنيفاً لقيامها لتنهض بأعباء الحاضر والمستقبل .

إنى كمؤمن بالله ورسله أشعر بأن كل الأرض لى أهل ووطن ؛ فمن آمن بالله ورسله ومقومات الحياة الراقية فهو أخ لى ، ومن لم يستطع الوصول إلى هذه المرتبة الإنسانية فهو أخ أيضا غير أنه قاصر وإن ارتفعت ناطحات سحابه وكثرت قنابله الذرية ومبيداته ، ونحن أوصياء عليه وأرحم عليه من نفسه وأبيه وأمه لأننا سنحل العقد المستعصية فى ضميره وعقله وأرضه وسمائه وأمسه ويومه وغده ، ونعده الحياة إنسانية كريمة وإخاء إنسانى شامل . وهذا من فضل الله على المؤمنين ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

إن الحضارة الأوربية قد أدت إلى الإنسانية خدمات ولطمات ، وهى عاجزة عن

الوصول إلى نهاية الشوط وأصبحت مثخنة بجراح ، مثقلة بأعباء ، قد تشعبت أمامها السبل وهى تستغيث وتستصرخ وتمد يدها إلى منقذ لتهتدى إلى سواء السبيل .

أيمكن أيها الأخ سعيد أن تنشر «المسلمون» مجلة الدعوة الأولى هذه الكلمة وتنقل رأيى إلى قرائها الفضلاء . ولك منى بالغ الشكر ومن الله عظيم الأجر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

***

إن حاجة الغرب إلى الإسلام حاجة لاشك فيها ، وإن اضطراب مدنيته المادية حقيقة تشغل اليوم مصلحيه ومفكريه ، وفى يدنا نحن المسلمين قارورة الدواء ونور الطريق . وتبليغ دعوة الإسلام للغرب أمانة فى أعناقنا ولاريب ، والإسلام لا يعرف أبيض ولا أسود ، ولكن العقبات فى سبيل أداء هذه الأمانة ثلاث :

أولاها : سوء حال المسلمين أنفسهم حتى أصبحوا حجة على الإسلام ومثلا سيئا له ، والحال دائما أبلغ من المقال ، فليسلموا هم أولا حتى ينقذوا سمعة الإسلام ، وإن اليوم الذى يقوم فيه للاسلام دولة تحل حلاله وتحرم حرامه وتقيم المجتمع الفاضل فى هذه الأرض التى كادت تصبح قفرا من كل معنى اجتماعى كريم — هو اليوم الذى تنصع فيه حجة الإسلام كما نصعت أول مرة فى أخلاق المسلم الأول صلى الله عليه وسلم . والعقبة الثانية : هى فى التيارات السياسية المغرضة التى أصبحت تشوه جمال الدعوة إلى الإسلام بمحاولتها استغلال هذه الدعوة لأهداف معينة وهذا الاستغلال يسئ إساءتين :



يسىء إلى الإسلام لأنه لا يريد الإسلام كله ، ويسىء إلى الدعاة المخلصين فيتهمون بالسير فى ركابه أو خدمه أهدافه . والعقبة الثالثة : هى الفقر فى وسائل تبليغ الدعوة للغرب فإن ذلك يحتاج إلى مال ورجال ونحن فى هذين لا نزال فقراء .

ولكنا بالرغم من ذلك كله نرى أن يرصد جزء من مجهودنا — فى حدود مانستطيع — لتبليغ الدعوة للغرب (على أن يظل مجهودنا الأول موجها إلى بناء جيلنا الجديد الذى يكون واقعه الكريم هو الدعوة القوية التى لا تُرد حجتها) ونحن حين نرصد هذا الجزء لدعوة الغرب لا نجهل أنه هو بدوره لا يتخلق بأخلاق إنجيله ، ونكون بذلك قد أدينا شيئاً من أمانة دعوة الناس كافة . ولنا فى كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك أسوة حسنة ، وربما أسمعنا من هناك كثيراً من المسلمين الذين ربوا على الإعجاب الفطير بكل ما يأتى من الغرب .

ولعله مما يسر الأخ الأستاذ إسماعيل أن يعلم أننا نفكر فى حضور المؤتمر الإسلامى الذى سيعقد فى أمريكا فى سبتمبر القادم ودعت إليه جامعة (برنستون) على نفقتنا الخاصة لأننا لم ندع له — طبعا — وستكون مهمتنا هناك إسماعهم صوت الإسلام — الحر — كلا لا يتجزأ، وإعلان وعى الحركة الإسلامية الجديدة التى يجب أن يحسب حسابها، ودراسة ما هنالك حتى نكون على بصيره، والله المستعان، وجزى الله الأخ إسماعيل كل خير.

يا فتى القرآن..

يا أخى المسلمُ فى كل الدُّنا ... يا فتى القرآن : لا تستسلمِ

لا تقل إنى ضعيف عاجز ... عن صراع العاجز المستحكم

لا تقل هذا ولكن يا أخى ... بإلهِ الكائنات استعصمِ

انصر الله لتحظى بالرضا ... فإذا نفّذت هذا أقدمِ

فمن استرضى العظيم المرتجىٰ ... مخلصاً... عند الوغى لم يُهزم

لكن المجنون من يلقى العدا ... وهو لم يَطْهُرْ ولم يستقم

قِلّةٌ ممن أطاعوا ربهم ... فى عيون الخصم مثل العيلمِ

التفاوت في الأرزاق

للأستاذ الدكتور محمد صالح « رحمه الله »

الوكيل السابق لجامعة القاهرة

(٣)

لا شك فى أن بعض الأفراد النابهين الممتازين من العلماء والمخترعين والمهندسين والأطباء والمحامين يسمون فوق أقرانهم ويحصلون على جزاء أوفى من زملائهم . . بشرط أن تتوافر الحرية فى المجتمع الذى يعملون فيه . . ولكن هل يحرز الأطباء باعتبارهم طبقة جزاء أعلى من الميكانيكيين باعتبارهم طبقة اجتماعية ؟

لامراء فى هذا إذا كانت المواهب التى يجب أن تتوافر فى الطبيب ذى الكفاية قليلة الوجود بين الناس . . والميكانيكيون بدورهم يستولون على أجور أعلى مما تستولى عليها طبقة العمال اليدويين إذا ثبت أن عدداً قليلا من الناس تتوافر فيه صفات الميكانيكى الحسن .

ويجب التصريح بأنه من العسير بيان الآثار النسبية للطبقة والتنشئة فى خلق الطبقات الاجتماعية . .

لكن هناك مسألة ظاهرة وهى أن أهم غرض للمجتمع هو إزالة العوائق الاصطناعية فى اختيار المهنة ؛ فإذا تم هذا استطاع كل فرد أن يقدم إلى المجتمع كل ما أودعه الله فيه من مواهب . . وبهذه الكيفية تسود الحرية ويتم توزيع السعادة بين الناس على أحسن وجه .

(٤) الميراث : لعل من أهم أسباب التفاوت الميراث . . والميراث يفسر بذاته بقاء الدخول المستمدة من رأس المال والأرض وما إليها من الأشياء الأخرى التى تعطى دخلا بلا عمل ، وهو يفسر الهوة القائمة بين المالكين والمحرومين . ويقوى الميراث فروق الطبقات الاجتماعية ويؤكد تأثير العادة والعرف . .

فالأفراد الذين يرثون أموالا يرثون أيضاً الفرصة . . لأنهم يحرزون بداية حسنة . ويعيشون فى بيئة أدعى لتحريكهم إلى العمل ، وأبعث إلى تحقيق مطامعهم . . وهم

أحرى بأن يحصلوا على دخول مرتفعة ، وأن يحتفظوا بمستوى حياة رفيعة بالزواج المتأخر وقلة عدد أولادهم . ويقوى نظام الميراث الفوارق الاجتماعية مباشرة وبالواسطة .

وخير مثال لبيان التأثير المشترك للمواهب الطبيعية ، والميراث والبيئة الصالحة هو رجل الأعمال الذى يعمل لكسب المال .

فني المرحلة الأولى من حياته تكون حيازة الوسائل لها أهمية قصوى ، ولكن بعد هذه المرحلة الابتدائية تظهر الكفاية الطبيعية وتنم عن نفسها .

وعلى أية صورة حصل رجل الأعمال على ما يمكنه من البداية فهو ينجح ويكدس الأموال ؛ وكلما كدس الأموال كان هذا أدعى لنجاحه . . وعند وفاته يترك خلفه ذرية قد ترث كفايته ولكنها ترث بالتحقيق ثروته ، والثروة تمكنهم من أن يرثوا بيئة جديدة وفرصاً جديدة ، وقد تذوب هذه الثروة بسبب سوء الإدارة وقد تقسم بينهم إلى حصص هزيلة ، فإذا وقعت هذه الاحتمالات فإن هذه الذرية تدور فى رءوسها المطامع ، وتعيش فى أوساط تختلف عن أوساط الفقراء التى نشأ فيها جدهم . وبهذه الكيفية يظل التفاوت قائماً بفضل الميراث والبيئة .

والآن . . بماذا نبرر الميراث ؟

لا يمكن تبرير الميراث إلا باعتبارات نفعية . . ذلك أن المجتمع القائم على الملكية الفردية يتحتم معه وجود نظام الميراث إبقاء على رءوس الأموال وحفظاً لها . .

وقد نتساءل عن مدى لزوم الميراث . فنقول : — إن الادخار المستمر والتوظيف الدائم للمال يصدران عن بواعث حب الأسرة وتحقيق مطامعها وترك ثروة للذرية وفى الحديث « أن تدع أولادك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس » . وإذا ألغينا نظام الميراث وقررنا أن كل التركات تؤول عند الوفاة إلى الدولة ، عمد المالك فى الغالب على إتلافها وتضييعها أثناء حياته لانعدام الباعث على تحصيلها بل أهم باعث فى بقائها . . لأن الفرد لا يدخر ولا يوظف أمواله لمصلحة المجموع . .

هذا هو السبب الذى يجب من أجله أن تكون ضرائب التركات فى حدود معقولة ويجب أن لا تتناول رءوس الأموال بل الدخل فقط حتى لا تنقص رأس المال الاجتماعى ؛ لأن الضريبة إذا تجاوزت حداً معقولا صارت بمثابة مصادرة للتركات قد يترتب عليها عرقلة الادخار وتكوين رءوس الأموال . .

وليس معنى هذا أن يكون الميراث خالصاً من كل قيد فقد توضع بعض قيود لا تؤثر فى وظيفة الميراث الرئيسية ؛ ومن هذه القيود أنه كلما بعدت أواصر القرابة

إلى المورث عظمت الضريبة على حصتهم فى التركة إذ يفترض أن المورث لم يدخر الأموال ويتأثل العقار حباً فى هؤلاء الورثة الأبعدين الذين قد يجهل وجودهم . .

* * *

والمستفاد من كل ما تقدم أن أول ما يجب أن تعنى به الدولة حتى يسود الوئام بين مختلف الطبقات هو تساوى الفرص بالنسبة لكل المواطنين بغير مواربة ولا تدليس أكثر مما يعنى بالتساوى فى الثروة ، وبعبارة أخرى ضمان أن يكون لكل فرد نفس الاحتمالات التى تمكنه من تكوين ثروة أو خلقها . ولن يكون خلق هذه الفرصة للفقراء بتجريد الموسرين من أموالهم إذ الحقيقة أن عددهم قليل كما تدل على ذلك الإحصاءات فى جميع البلدان وفى المجتمعات الحديثة حتى ما كان منها فى الطليعة من الثراء ، الثروة قليلة ضئيلة . وحيث تكون الثروة بهذا القدر فلا تجدى أفضل التدابير نفعاً فى جعل نصيب كل فقير وافياً بحاجاته . . فما يصيب الفرد من توزيع الخيرات بالتساوى لن يكون عظيما . . ولا شك فى أن النصيب يكون أقل إذا اقتصر التوزيع على ثروات الموسرين فقط كما يدعو إلى ذلك أنصار الاشتراكية الشعبية . . ولو تحقق أمل هؤلاء الأنصار لكان نصيب الفرد طفيفاً هزيلا . . وقد أبدع الأستاذ « جيد » وهو اشتراكى النزعة حيث قال : « ولو كان فى مقدور بنى الإنسان اقتلاع الجبل الأبيض وتوزيع كتلته الهائلة بالتساوى على المسطح الكلى للقطر الفرنسى لما ارتفع وجه أرضها أكثر من خمسة عشر سنتيمترا » وكذلك الحال إذا وزعت ثروة الموسرين على الفقراء والمعدمين لما خص الواحد منهم إلا الشىء اليسير . . والله يرزق من يشاء بغير حساب .

سند الروح . . .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذ سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه » . (رواه أحمد)

هل علمت ؟!

● أن قوس قزح ماهو إلا ضوء الشمس بعد تحليله إلى ألوانه السبعة ، وذلك حين تقع أشعة الشمس على ملايين ذرات الماء الموجودة فى الجو . . . وأن قوس قزح يمتد فى الفضاء ٩٣ مليون ميل . . . وهى نفس المسافة التى تفصل الشمس عن الأرض كما يؤكد الدكتور دونالد منزيل العالم الشهير . . .

● أن مستوى المياه فى محيطات العالم ارتفع فى الخمسين سنة الأخيرة بمقدار نصف متر . . ونتجت هذه الزيادة من ذوبان الثلج الموجود فى المناطق القطبية .

● أن المد والجزر لا يقتصر على الماء فقط ، بل إن فى الهواء مداً وجزراً يحدث مرتين فى اليوم كما فى الماء وإن كانت سرعته أبطأ وسببه هو تأثير ضوء القمر فى طبقات الهواء . . وحين يشتد الجزر والمد الهوائى يشعر الناس بضيق فى التنفس .

● أن العضلات والشعر والأظافر مركبة من جزئيات صغيرة مجدولة على شكل الحبل .

● أن بعض أنواع الذباب بدأت بعد اختراع مادة الد . د . ت فى إفراز سائل خاص يحللها ويجعلها عديمة التأثير ، وتجرى الأبحاث بسرعة لمعرفة كيفية إفراز هذه المادة حتى لا تنتشر هذه الطريقة بين الذباب كله فتضيع ملايين الجنيهات على مصانع الد.د.ت

● أن الميل المكعب الواحد من ماء البحر يحتوى على ٦ ملايين طن من عنصر المغنسيوم اللازم لصناعة الطائرات ولمبات التصوير .

● أن مرض القلب الذى يموت بسببه أكثر الأغنياء فى العالم سببه الترف فى الغذاء والمعيشة وقلة الحركة . . والإسراف فى الملذات ، وقد قارن الدكتور بول وايت بين ألف فلاح من الريف وألف من الذين يعيشون فى المدن ، فوجد أن نسبة الوفيات بمرض القلب فى المدنيين ضخمة جداً .

● أن لجنة من المهندسين توصلت إلى صنع صاروخ يرتفع فى الجو ١٠٠٠ ميل ، وكان أقصى ارتفاع وصلوا اليه ٥٠٠ ميلا فقط .

● أن نبضات القلب تتأثر بحجم الجسم ؛ فعدد ضربات قلب الإنسان العادى ٨٠ ضربة فى الدقيقة وفى الفيل ٢٥ والفأر ٧٠٠ ، أما قلب العصفور فعدد ضرباته ١٠٠٠ ضربة فى الدقيقة .

وقلوب النساء أسرع فى دقاتها من قلوب الرجال وهى أسرع فى الصباح من المساء .

باب الكتب : نقد وتعريف

للدكتور محمد يوسف موسى

١ — ليالى المصيف ، الديوان الثانى للأستاذ صالح بن على الحامد العلوى الحضرمى ، مطبعة مصر عام ١٩٥٠ م ، ١٠٨ صفحة م .

٢ — قصص للشباب والطلاب ، مدينة التماثيل ، للأستاذ محمد المجذوب ، نشر دار العلم للملايين ببيروت عام ١٩٥٣ م ، ٥١ صفحة م

---

١ — كان مما شوّه محاسن الشعر العربى ابتلاؤه بجماعة من الفحول اتخذوه أداة للارتزاق ، فصار الشعور آخر ما يستجيب له الشاعر ، ونحمد الله أن برئ الشعر المعاصر من هذا الداء إلى حد كبير .

وهذا الديوان : « ليالى المصيف » دائر فى مجموعه على الحب والرثاء ، وإن شئت فقل على الحب فحسب ، إذا وسعك أن تجعل الرثاء الصادق لا ينبعث إلا عن الحب الصادق . فإذاً ، نحن فى قراءتنا لهذا الديوان نحس أننا بين تجارب شعورية ليس فيها زيف ولا تمويه ، فإذا أسعفت اللغة وشرفت المعانى ، فهنالك يتهيأ لك الشعر فى ذراه وأوْجه .

ومن الحق أن فى هذا الدابون حياة نابضة ومعانى سَمرِيّة إن لم تكن كلها جديدة فهى من نفائس القديم . وقد هزّنى التعبير فى مواقف كثيرة ، وإن شئت فتمثل قوله من قصيدته فى غازى الأول (ص ٦٨) :

أمة بالنفوس شـــادت علاها وبنت صرح مجدهـا بالجماجم

معقل زلت المطامع عنـــه ومضى البغى دونه وهو راغم

قل لمن دلّسوا الحقائق بالوهـــم وراموا بقاءنا فى الأداهم

آن أن يبلغ الصغير مدى الرشـــد وأن ينبذ الرقى والتمائم

فهذه محوة وطنية مدركة ، يصوغها الشاعر فى سهولة ويسر بلا تكلف أو تعسف .

وإنه ليعتصر قلبك الحزن ، إذا وقفت مع الشاعر وهو يرثى زهرته الذاوية فيقول (ص ٤٤) :

ولقد دعوتك فاستجبت بدمعة خرساء أرسلها حشاك الموجع

أودعتِ فيها للحياة وللصبا والحب أبلغ ما يقول مودع

فاضت لها عيناى وخار لشجوها جَلَدِي ، وكادت مهجتى تتقطع !

وإنا لا نقول إن شيئاً من هذه المعانى جديد ، ولكن التجارب الشعورية فيها تجارب صادقة ، ودَفْقها فى الأبيات دَفْق حار لا تخبو حرارته ولا تبرد .

واستمع إلى الشاعر المرهف الحس والوجدان ، يزور منزل حبيبه ومربع أسماره وأنسه ، فيهيج شجنه فيقول (ص ٤٧) :

لا تَرُعْ من جزعى يا ربع أسمارى وأنسى !

غلبت ذكرى لياليك على عقلى وحسى

كم لحبى وغرامى فيك عهد غير منسى

بحبيب هو آمالى وأمنية نفسى

إلى أن يقول :

يا حبيبى أين أنت اليوم منى يا حبيبى !

طالما كنت أناديك فهل أنت مجيبى !

لو ترانى لتألمت لدمعى ونحيبى

فسلام أيها النانى من القلب الكئيب

وسلام للصبا والحب والعيش الرطيب

على أنه مع ما يشيع فى الديوان من قوة العاطفة ، نراه لم يخل أحياناً من هبوط أو ضعف . ونلمس شيئاً من ذلك فى قصيدته : « المعهد العلمى » ، أو قصيدته : « عيد الجلوس » مثلا . كما لم يخل أحياناً أخرى من تعابير دارجة لم تحكمها صنعة ، وأخرى لا يرضاها علم النحو أو الصرف ، كما نجد فيه أوصافاً لا يرضاها الحس والذوق . فهو يقول فى ص ١٤ : الخجلين تواضعى ، وفى ص ٣٤ يصف الخمر بأنها هيفاء ! ويقول عن حبيبته (ص ٤٣) إنها تلعب فى الصغار وبريد مع الصغار ، وإنه اصطادها !

وبعد ! فمهما غضب النحاة ولَوَّوْا رءوسهم ، ومهما بدا فى الديوان من عثرات معان أو تعبير ، فإننا نحب أن يُقرأ أمثال السيد صالح من الشعراء الذين يحدثونا

عن نبضات قلوبهم ، والذين يصورون لنا الحياة كما يحسونها ؛ فإن ذلك هو الشعر الذي ترضاه الحياة لأنه تعبير عن الحياة ، وهو لذلك يكتب له البقاء والخلود .

***

٢ — وقصة مدينة التماثيل هي الحلقة الأولى من مجموعة : « قصص الشباب والطلاب » ، يقدمها الأستاذ محمد المجذوب من طرسوس من أعمال سوريا . وغنى عن البيان ما للقصص من خطر فى التعليم والتربية وغرس العقيدة الحقة فى القلوب وتكوين الأخلاق الفاضلة فى النفوس ، وقد آمن المؤلف بذلك . ويبدو لنا أنه عُنى باختيار موضوع أقاصيصه الروحية من القرآن ، لأنه يقول فى مقدمته لهذه القصة : « ثم ، إنني أومن بأن فى تاريخنا الروحى كنوزاً غنية بمادة القصة الصالحة . وليست هذه الحلقات سوى قبس من ذلك النور ، آمل أن تتبعه أقباس وأقباس ، حتى تكون منها سلسلة لا تنتهى ... ولست أبالى بعد ذلك أكنت أنا الذى أتمها ، أم كان غيرى . فالمهم أن يرفع البناء ، وأن تحتل هذه السلسلة مكانها الحالى من أدبنا الحديث ... »

وفى الحق ، إن القرآن الكريم غنى بهذه المادة ، وفى قصصه عبرة لذوى الألباب ، وفيها تعرف تاريخ الصراع بين أصحاب الرسالات ومعارضيهم من الأمم السالفة ، وفى هذه القصة بالذات نرى الصراع الشديد بين الوثنية والتوحيد الخالص .

إنها قصة إبراهيم خليل الله ورسوله ، وقد ثار على وثنية قومه الغليظة العاتية ، وعلى أبيه آزر الذى احترف صناعة عمل التماثيل لمملكة نمروذ وبخاصة لمعابد مدينة « أور » العاصمة . فنرى المؤلف يتدرج فى لغة مبسطة سهلة وأسلوب ممتع بسيدنا إبراهيم فى مراحل حياته ، فهو يرينا إياه طفلا ينشأ بين أحضان الوثنية ، ثم متبرما بعبادة قومه ، فثائراً عليهم ومحاجًّا لهم بكل دليل وأسلوب يُقنع من عنده حسن استعداد للفهم والاقتناع . وأخيراً ينتهى بالقارئ إلى المرحلة الحاسمة فى قصته ، نعنى مرحلة تحطيمه أوثان وتماثيل قومه ، ونصر الله له بجعله النار التى أراد نمروذ تحريقه بها برداً وسلاما عليه ، وهكذا ينتصر الحق أخيراً على الباطل ، ويكون الفلَج للتوحيد والموحدين على الوثنية وعُبادها وأشياعها .

وهكذا ، نجد هذه العبرة فى القصة السماوية ، ويجد القارئ من « الشباب والطلاب » متعة بالغة فى قراءتها وتتبعها فى مراحلها المختلفة ، وقد تحول بينهم وبين القصص التافهة بموضوعاتها والتى ليس لها أهداف يصح أن تفيد الناشئة .

وفى يقيننا أن الأستاذ الكاتب سيجد أنصارا كثرا لهذا النوع من الإنتاج القصصى الروحى ، وأن قراءه سيفيدون منه أيما فائدة ؟ .

إن لبدنك عليك حقا

بإشراف الأميرالاى الدكتور أحمد الناقه

س ١ : سيدة يؤلمها الحيض ويعوقها عن تدبير المنزل .

ج : آلام الحيض تصيب أكثر النساء بدرجة محتملة لا تحد من نشاطهن ، ولكنها تصيب عشرهن بدرجة شديدة تعوقهن عن العمل أو تلزمهن الفراش رغم سلامة الأعضاء . وقد يظهر عند بعضهن التهاب أو ورم أو انحراف بعض الأعضاء عن مواضعها أو علة فى تكوين المبيض أو وظيفته . ويصح اعتبار آلام الحيض ظاهرة طبيعية تعالج بالتغاضى وقلة الاهتمام مع تحسين الصحة ، فإن لم يفد فبالمسكنات والمهدئات مع تغييرها كل حين إذا قل أثرها ، أو بخلاصة غدد الذكر أو الأنثى أو الغدة الدرقية ، فإن لم يفد لزم عرض الحالة على جراح النساء .

س ٢ : تجوع زوجته بأمر الطبيب علاجا للبدانة فيسوء خلقها وتصعب عشرتها فما العمل ؟

ج : إذا لم يكن بها مرض آخر كضعف القلب أو ضغط الدم أو داء السكر فدعها تأكل ولا تسرف فإن النهم يفرج الكرب ويخفف الهم ويقلل الكبت والقلق النفسى ، فإذا انسد هذا الباب فقد تصاب فى أعصابها أو نفسها أو عقلها بأذى يصعب علاجه .

س ٣ : ألم بفم المعدة يزول بتناول الطعام فهل هو قرحة المعدة ؟

ج : قد يكون من المعدة أو سواها كضعف النفس والعصب أو الحموضة أو مرض القولون والشرج .

س ٤ : شلل بنصف الوجه منذ سنة فهل له دواء حديث ؟

ج : لا يجدى الدواء بعد سنة . وهناك أدوية حديثة قد تشفى الحالات الجديدة فى أسبوعين ولا تخلف ضمورا ولا تشوها بالوجه .

س ٥ : عولج من البلهارسيا مرتين وقد أصيب بها ثالثة .

ج : يلزم العلاج مرة ثالثة ، ثم تجنب الماء الملوث والأخذ على يد من يلوثه من أهل القرى فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن البول فى الموارد .

س ٦ : قال الأطباء إن قلبه سليم ولكنه يشكو آلاما فوق القلب واضطرابا فى النبض

ج : هذه حساسية شديدة تزيد بالتدخين والإجهاد والهموم وتقل بترك الدخان والراحة والتوكل على الله .

س ٧ : مريض بنقص التغذية نصحه الطبيب بأكل اللحم والفاكهة ، ولكنه لا يجد ما ينفق فهل يغنى الطعام الرخيص ؟

ج : نعم يغنى الطعام الرخيص : كالفول والعدس والبقول والخضر والفجل والكرات واللفت والخيار والطماطم والجبن والمش واللبن الرايب والبيض والزيت . والمهم هو التنويع وعدم الصبر على طعام واحد فوق ثلاثة أيام .

س ٨ : مريض بالتدرن الرئوى يريد الحج طائرا فهل هذا يضره ؟

ج : لا ضرر إذا كان المرض خفيفا ساكنا . أما إذا كان شديدا مصحوبا بضيق التنفس أو كهوف أو التصاقات أو استرواح ، وخاصة مع كبر السن وشدة الحر واحتمال ارتفاع الطائرة فوق ألفى متر فقد يحدث الضرر .

س ٩ : مريض بذبحة صدرية وتصلب شرايين المخ وارتفاع ضغط الدم احتار بين الأطباء الذين يشيرون بتخفيض الضغط والذين يخالفون .

ج : الذبحة الصدرية تدل على تصلب شرايين القلب فإذا قل الضغط كثيرا فقد يتجمد فيها الدم فيقف القلب . وتصلب شرايين المخ يعرضها للانفجار إذا زاد الضغط كثيرا . وكلا الحالين خطير ، ولعل الخير فى استعمال الأدوية التى لا تخفض الضغط كثيرا مع الحيطة فى الغذاء وتنظيم الحياة بإشراف الطبيب .

س ١٠ : ضعف الباه . هل تنفع فيه خلاصة غدد التناسل ؟

ج : مع الصحة وسلامة الخصيتين والأعضاء لا تصلح خلاصة الغدد ضعف الباه ؛ لأن أكثر أسبابه نفسى يتصل بنكد الدنيا ومتاعب الحياة . وكل الناس حتى أهل الرفاهية والعيشة الراضية عرضة لفترات ضعف تناسلى . فهو أمر طبيعى يزول من تلقاء نفسه ولا يحتاج إلى علاج ، وربما ضره العلاج .

س ١١ : مريض خلعت أسنانه وعولج أنفه وأزيلت لوزه علاجا لآلام مزمنة بالظهر والأطراف فلم يشف . هل كان العلاج عبثا ؟

ج : أمراض الأسنان والأنف واللوز لا تسبب مرضا ، ولكنها قد تضعف الصحة أو تزيد المرض

س ١٢ : زوج يئن وهو نائم بصوت مسموع مع أنه سليم الجسم ؟

ج : لعله ينفس عن ضيق صدره بمتاعب البيت أو العمل .

مع العارفين

فاطمـــة

مَن مِن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها لا يعرف فاطمة ؟ !

ولكن أكثر المسلمين لا يعرف عنها إلا أنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوجة على رضى الله عنه ، وقليل منهم من أدركه خبر عن حالها مع ربها ، أو ألم بطرف من شأنها مع نفسها ومع الناس .

يعرف الناس عنها أنها بنت النبي ، فماذا كانت تعرف هى عن نفسها ؟

تستطيع أن تقرأ خبر ذلك فى مثل ما أُثر عنها رضى الله عنها وأرضاها : قال على لابن أعبد : « يا ابن أعبد : ألا أخبرك عنى وعن فاطمة ؟ كانت ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرم أهله عليه ، وكانت زوجتى ، فجرّت بالرحاء حتى أثر الرحاء بيدها ، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها ، وقمّت البيت حتى أغبرت ثيابها ، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها ، وأصابها من ذلك ضر »

هكذا قضت حياتها فاطمة : فى يدها أثر الرحى ، وفى نحرها أثر القربة ، وعلى ثيابها ما قد علمت !

بل إنها ليشتد الأمر عليها ، وهى حامل ، فكانت إذا خبزت أصاب حرف التنور بطنها ، فأتت أباها صلى الله عليه وسلم تسأله خادماً ، فقال لها : «لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع ، أوَلا أدلك على خير من ذلك . إذا أويت إلى فراشك تسبحين الله تعالى ثلاثاً وثلاثين ، وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين ، وتكبرينه أربعاً وثلاثين » هكذا ردها أبوها النبي ، وأضاف إلى شغلها الذى أنهكها شغلا جديلاً من الذكر والتسبيح . فهل كان ذلك عن قسوة من أبيها الذى اتسع قلبه حتى وسع الناس جميعا ؟ . . . كلا . . . وحسبك فى ذلك أن تعلم مكان فاطمة فى قلبه صلى الله عليه وسلم فى مثل قوله : « إنما فاطمة ابنتى بضعة منى ، يريبنى ما أرابها ويؤذينى ما آذاها » — وإنما هو الحق الذى بعث به رحمة للناس كافة ، جعله يشتد على فاطمة وهى حبه وبضعة منه ما دام أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع . وهو حين يدعوها إلى مزيد من الذكر والتسبيح

إنما يأخذها إلى كنف الحق الذى لم يجعل لها حقا فى خادم ، ويسلم قلبها إلى معانيه العلوية تسكب فيه نوراً يقدح سرها ، ويغمر نفسها ، ويشغلها عن شكاة جسدها المنهوك !

* * *

وإن هذا النسب الكريم من الحق من النبي وابنته — فضلا عن أنه برهان من براهين النبوة — أفق عال لا يزال يشرق منه مع كل حادثة نجم جديد . . .

روى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل فى مجلس من أصحابه « ما خير النساء ؟ » فلم ندر ما نقول ، فسار على إلى فاطمة فأخبرها بذلك . فقالت : فهلاّ قلت له : خير لهن ألاّ يرين الرجال وألا يرونهم ؟ — فرجع فأخبره بذلك . فقال له : « من علمك هذا » قال . فاطمة . قال صلى الله عليه وسلم : « إنها بضعة منى ! »

* * *

وذكر جابر بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء فجلس وقال : « إن فاطمة وجعة » فقال القوم لوعدناها ؟ فقام فمشى حتى انتهى إلى الباب — والباب عليها مصفق — فنادى شدى عليك ثيابك فإن القوم جاءوا يعودونك . فقالت يانبى الله ما علىّ إلا عباءة . فأخذ رداءه فرمى به إليها من وراء الباب وقال : شدى بهذا رأسك ، فدخل ودخل القوم وقعد معها ساعة فخرجوا ، فقال القوم : تالله بنت نبينا صلى الله عليه وسلم على هذه الحال ؟ فالتفت إليهم وقال : « أما إنها سيدة النساء يوم القيامة »

وكانت رضى الله عنها عفة مطهرة تختار ، الفضفاض من الثياب تخفى فيه جسدها ، وقال مرة لأسماء : « يا أسماء إنى قد استقبحت ما يصنع بالنساء : أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها »

* * *

وقالت عائشة : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه ما تغادر منا واحدة ، إذ جاءت فاطمة تمشى ما تخطىء مشيتها من مشية النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فلما رآها قال : « مرحبا بابنتى » فأقعدها عن يمينه ، ثم سارّها بشىء فبكت فقلت لها أنا من بين نسائه : خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيننا بالسرار وأنت تبكين ! ثم سارّها بشىء فضحكت . فقلت لها : أقسمت عليك لما أخبرتينى ، قالت :

ما كنت لأفشى على رسول الله سره ، قالت عائشة فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم سألتها فقالت : أما الآن فنعم ! أما بكائى فإن رسول الله قال لى : « إن جبريل عليه السلام كان يعرض علىّ القرآن كل عام مرة ، فعرض العام مرتين ولا أرى إلا أجلى قد اقترب » فبكيت ، فقال لى : « اتق الله واصبرى فأنى أنا نعم السلف لك » ثم قال : « يافاطمه أما ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة » وقال : « أنت أول أهلى لحوقا بى » فضحكت .

وماتت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر .

رضى الله عنها وأرضاها ، وألحقنا بها فى الصالحين .

« نحن فى التنظير بين المدنيتين الشرقية والغربية كالتنظير بين جوادين ، أحدهما مخلى له الطريق ، والآخر وضعت فى طريقه العقبات ؛ فلو خلّى بين جواد الإسلام لظهر جواد الغرب إلى جانبه حماراً » .

مصطفى صادق الرافعى

لم أُسِغ لقمةً بغير نضالِ

لسماحة الأستاذ القاضي محمد محمود الزبيري

شاعر اليمن

« فى هذه القصيدة من الطرافة والصدق مالا يبلغه قلم المؤرخ مهما حقق ، ولا تمتد إليه عينه من الفترات العصيبة فى حياة المكافحين ، كتبها الأستاذ الزبيرى بباكستان وهو فى أتون المحنة بعد انقلاب اليمن » .

التحرير

رام شبّير[1] أن يضمد جرحى فمدته يد المنايا العجالِ
وأراد الوزير[2] طبى فأعدا ه مصابى بالبعض مما جرالى
دبّر الأمر لى فأوشك أن يمسى وقد صار حاله مثل حالى
ليس هذا أمراً عجيباً فقد مرّ (م) لعينى منه ألف مثال
ما كبا حظّه ولكنه نا ل جزاء الساعى لأمر محال
منطق الحادثات أقوى من الحق ومن كل منطق وجدال
وخطوب الزمان أثبت فى العز م على الأمر من قلوب الرجال
ولها خطة تسير إلى الغا ية منها جريئة لا تبالى
ولها عمرها المقدر لا تنقصه أى علة واحتيال
ولها شرعة على الناس تمضى ليس تصغى منهم لقيل وقال
فى صراع مع الشرائع والأخلاق والمصلحين والأبطال
والسعيد السعيد من يتوقا ها ويمشى بحكمة واعتدال
غير أنى وقد تحفظت جهدى وتوقيت يمينى وشمالى

---

(١) هو سماحة الشيخ شبير أحمد عثمانى شيخ الإسلام السابق فى باكستان رحمه الله ، وقد كان كريماً نبيلا مع الأستاذ الزبيرى ولكنه سرعان ما لقى ربه قبل أن يستقر الزبيرى على حال .

(٢) هو وزير بهاولبور إحدى مقاطعات باكستان ، تحمس لمعونة الزبيرى ولكنه أقيل قبل أن يفعل شيئاً .

وتنكرت عقر داري لكل النا س حتى أهلي وحتى عيالي
لم تذق هدأة من النوم عيني لم يجد هدنة من الهم بالي
لم أنل جرعة بغير كفاح لم أسغ لقمة بغير نضال
لم أسر خطوة على الأرض إلا كان فيها أحبولة لاعتقالي
كل شيء صعب عسير المنال لحبيس الأشواك والأوحال
مضجعي من شدائد وخطوب وطريقي من أذؤبٍ وصلال
ويح عيني ماذا ترى ربما تسرف فيما تحسه وتغالي
مسخت لي طبيعة الأرض أم جُنّ جنوني وضلّ فيها ضلالي
أم تريد الدنيا تشوه مرآ ها لعيني كي تستحث زيالي
ما أنا يا دنيا حريصاً على البقيا ولا جازعاً من الترحال
فافتحي لي الطريق إني لمشتا ق إليها شوق المحب الغالي
فعلام التطويل أيتها الأقد ار والسعي في الدروب الطوال
وإلاما هذي الصواعق حولي والبراكين غاضبات حيالي
قد ظلمت الخطوب جرياً ورائي وحطمت النبال فوق النبال
أنا أدنى الأهداف منك فلا تر مي السهام الغضبى وراء الخيال
ما أنا حامل الجبال فتنها ر على منكبي شم الجبال
ما أنا صخرها العتيد فتضطر إلى كل ذلك الزلزال
فخذيني وحدي ولا تهدمي الدنيا لأجلي وأسرعي في زوالي
حطمي كل ذرة من كياني واطمسي كل خطرة من ظلالي
واخرقي رقعة السموات فوقي واخسفي ما تمشي عليه نعالي
وانسفي ما يحوم حولي من الشؤم لئلا يقيم بعد ارتحالي
واخلقيني خلقاً جديداً يواري فيه شخصي عن أعين الأهوال
وضعيني في كفة الله أشكو ما تحملت من هموم ثقال
إنه وحده القدير على إيجاد صلح بيني وبين الليالي

رسالة من مراكش

« هذه رسالة مؤثرة من أخ عزيز مدرس فى أوربا ، كتبها إلينا بعد أن سعد بزيارة إخواننا فى مراكش ، وقد رأينا أن ننشرها كما هى . . ليقرأها كل مسلم ، ولتذكر بها الحكومات العربية بمسئوليتها الكبيرة ، إن كانت تنفع الذكرى » «التحرير»

أخى الكريم الأستاذ سعيد

السلام عليكم ورحمة الله (وبعد)

فإنى أكتب إليكم هذه الرسالة من . . . بعد أن قمت برحلة خلال المنطقة الخليفية بمراكش واجتمعت بإخوان — سبق أن اجتمعتم بهم — تربطنا بهم روابط الدين واللغة والآمال الواحدة والآلام المشتركة .

ولقد أعجبنى — كما لعله أعجبكم — فى هذه البقعة التى نأى بها موقعها الجغرافى عن موطن الإسلام — روح دينية قوية تتمسك بالإسلام وتشعر بأن فى اتباعه حياتها وعزتها ، هذا على رغم الجهود الجبارة التى يبذلها المستعمرون وأدواتهم من المبشرين لسحق الإسلام والقضاء على نفوذه فى نفوس الناس .

ولقد قضيت فى مراكش شطراً من شهر . . . ورأيت مدى تمسك القوم هنالك بتعاليم الإسلام . . . وبلوت ما انطوت عليه نفوسهم البسيطة القوية من مروءة ونبل . . وحز فى نفسى ما يقاسونه من ويلات الاستعمار والمستعمرين مما رأيتموه قبلى رأى العين وكتبتم عنه — مشكورين — فى عدد سابق من « المسلمون »

ولقد هز نفسى ما كانوا يروونه لى عن زيارتكم لهذه المنطقة وعن الأثر القوى الذى تركته هذه الزيارة . . ولقد حدثنى أحد الإخوان ممن التقيت بهم فى « العرائش » أنهم عندما سمعوا بكم فى تطوان ألفوا وفداً كبيراً وذهبوا بجمعهم إلى تطوان ليستمعوا إليك وليأخذوا عنك . كل هذا سرنى وأعجبنى ، لا لما أثاره فىَّ من شعور الفخر بداعية مسلم تجمعنى به المودة والأخوة فحسب ، بل لما يدل عليه من استعداد هذه النفوس الطيبة الصافية لدعوة إسلامية قوية . . . وإنى أؤكد لك يا أخى أن هؤلاء الإخوة فى الدين لو تمَّ انتشار الدعوة الصحيحة بينهم لانهارت قوى الاستعمار عندهم ، ولو تم ذلك لأصبح المغرب العربى الحر من أقوى الدعامات لوطن إسلامى ضخم ينتظم كل شبر أرض فيه مسلم . . .

والحق أننا فى مصر لا نولى قضية المغرب ما هى جديرة به من أهمية . . . ولقد آمنت بعد زيارتى هذه للمغرب بمدى ما تستطيع مصر أن تحققه للمغرب ، وما تستطيع دعوة إسلامية كدعوة « الإخوان » أن تفعله هناك من أجل قضية للمسلمين أجمعين . . إنهم هناك كثير و التطلع لمصر ، شديدو الإيمان بالدعوة الإسلامية فهما عظيمو الإقبال على كل مصرى يؤمن بها ويذود عنها . . . والمستعمرون فطنون إلى هذا ؛ فهم يبذلون جهداً كبيراً فى قطع ما بيننا وبين المغرب من علائق . ولعلك لحظت ما كانوا يبثونه من الجواسيس والرقباء على كل حركة تقوم بها .

والاستعمار يحارب الثقافة المصرية العربية والإسلامية على وجه العموم ولا يدع من هذه الثقافة إلا مجلة تافهة أو رواية « سينمائية » محشوة بألوان الخلاعة والمجون أو أغنية تقطر خنوثة وميوعة . . . أما ما عدا ذلك فلا يسمح به حق فى منطقة لا محظر فيها شىء كمنطقة طنجة الدولية .

على أنه برغم كل ذلك فقد « تسربت » كثير من كتب « الإخوان المسلمين » ونشراتهم ولها فى نفوس الناس هنا مكان مرموق ، إلا أنها فى حكم « المهربات » والممنوعات لا يجسرون على تداولها جهرة وإلا تعرضوا لأقسى ألوان العقاب والاضطهاد ،

ولقد لقيت هنا كثيراً من الإخوة الأعزاء وهم يذكرونك بالخير كثيراً ، وقد حملونى تحياتهم إليك وحملونى معها آلاما وآمالا يضيق المقام عن التفصيل فيها ؛ إلا أنى مجمل لك بعض ما يختلج فى نفسى بعد هذه الزيارة . . .

سبق أن قلت لك إننا مقصرون فى قضية المغرب وليس سبب هذا التقصير أننا ضعيفو الإيمان بهذه القضية ، بل يرجع إلى المعرفة السطحية القليلة بشئون المغرب وإلى عدم تدبر ما فى أيدينا من وسائل تحقق لنا الكثير إلا أننا لا نستغلها استغلالا مثمراً مجدياً .

من أمثلة ذلك ما أشرت لك إليه فى مسألة الثقافة العربية المصرية التى لا يكاد يسمح بنشرها هنا ، وهم إذا سمحوا فإنهم يضعون فى سبيلها العراقيل الكثيرة . ولو أدركنا نحن ما لإسبانيا وفرنسا من المصالح الكثيرة فى بلادنا لاستطعنا أن نفعل الكثير . . . إن إسبانيا تتقرب اليوم إلى العالم العربى وقد كان فى استطاعتنا أن نستخلص شيئاً — ولو قليلا — لهؤلاء الإخوة ثمناً للمعونة التى طالما قدمها العرب لإسبانيا . . . وإن لفرنسا فى مصر صحفاً ومعاهد ومنشآت كثيرة فلماذا لا نسلك سياسة « المعاملة بالمثل » إزاء مواقف فرنسا العدائية الصريحة إزاءنا ؟ ولماذا نترك ثقافتنا وكتبنا مضطهدة مطاردة فى المغرب بينما تنتشر ثقافتهم فى مصر والبلاد العربية دون رقابة أو حدود ؟

ولقد سبق للحكومة المصرية أن حاولت فتح معهد إسلامى فى طنجة فمنعتها فرنسا

يومئذ بغير حق ، ورغم أن طنجة بحكم وضعها الدولى مفتوحة مباحة للجميع . وهددنا يومها بإغلاق معاهد فرنسا فى مصر . . ولكن الأمر لم يتجاوز مرحلة التهديد . . . وقد كان أجدى لو أننا ترجمنا القول إلى العمل ؛ فإنه بمثل هذه السياسة « الكلامية » فقدنا ثقة الناس فى أن يضيرهم تهديدنا ووعيدنا . .

وهناك الكثيرون من الشباب المغربى ممن يتوقون إلى إكمال تعليمهم فى مصر ويتعطشون إلى ذلك ، ولكن السلطات الحاكمة الاستعمارية تحول بينهم وبين هذه الرغبة الصادقة ، وترغمهم على أن يولوا وجوههم شطر أوربا . . . وهذه مسألة كان ينبغى أن تتدخل فيها الحكومة المصرية ، لا سيما وأن لمصر مبعوثين فى الدول المتولية للحماية فى المغرب ، ونستطيع أن نطبق سياسة « المعاملة بالمثل » إذا لم تحفظ حقوقنا فى ذلك القطر الشقيق . . .

هذا قليل من كثير مما شعرت به عند زيارتى للمغرب ، ولقد حملنى هؤلاء الإخوة فى هذا الصقع الإسلامى كثيراً من آلامهم وشكاياتهم نبثها إياكم لأنكم أكثر أهل الفكر ورجال القلم إحساساً بما يعانيه هؤلاء من محن الاستعمار ، وأنتم أدرى بما يقاسيه أهل المنطقة الفرنسية فى مراكش ، وبما يلاقيه أهل تونس والجزائر . . .

والذى يطمع فيه هؤلاء الإخوة أن تهتم الدول العربية وعلى رأسها مصر بمشاكلهم اهتماماً إيجابياً . . . وإذا كان طريق السياسة شائكاً وعراً فلا أقل من الاهتمام بالناحية الثقافية وقد حدثتك عن بعض ما نستطيع عمله فيها . .

هم يرجون أن تذكروهم وتذكّروا بهم أولى الأمر . ونحن نرجو أن ترسلوا بعض ما يذيعه « الإخوان » وينشرونه فإن كل هذا يشد هنا من عزمهم ويقوى نفوسهم ، ويذكرهم بأن المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا . .

وسنوالى نحن من جانبنا الزيارة والدعاية ، وسنتابع إن شاء الله من جانبنا الاتصال بهؤلاء الإخوة الذين لا تقل محنتهم عن محنة فلسطين إن لم تزد . . . وسنبذل كل جهودنا فى ذلك .

وسنوالى الكتابة إليكم فى هذا الأمر بما يتسع له مجهودنا المتواضع . .

وأخيراً فإنى أتوجه إليك بشكرى الخالص على تذكرك إياى بمجلتكم الغراء شد الله بها أزر الإسلام والمسلمين .

وإليك تحية جميع الإخوان فى المغرب الأقصى وفى . . .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

أخوكم

م . . .

في أفق العالم الإسلامي

باكستان مرة ثانية

قلت للسيد محمد على رئيس وزراء باكستان في مقابلتي معه أثناء زيارتي الأخيرة لكراتشي منذ أيام إن الحركة الإسلامية فى العالم الإسلامى كله ماضية فى طريقها والحمد لله ، محاولة أن توقظ فى المسلمين آمالا خامدة وهمما راكدة ، وظلت تشعرفى كل مكان أن الاستجابة لها تزداد يوما بعد يوم ، على مهل ، حتى ولدت الباكستان وتطوعت مشكورة أن تزجى إلى المسلمين أملا جديداً فى دولة جديدة تقوم على دعائم الإسلام . فتطلع المسلمون إليها وبذل دعاة الإسلام جهدهم فى نصرتها ودفع الشبهات عن مولدها ، وجعلوها قبساً من الأمل فى الأفق الذى لا يزال دامساً ، فلم يعد من حق الباكستان أن تفجع المسلمين فى هذا الأمل ، وأصبح من حقنا أن نطالبها بحق دعواها الكبيرة من يوم قامت ، وأصبح من واجب الباكستان أن تستمع إلينا ، وأن تذكر أمانة الله فى عنقها ، وأن تذكر أن أصدقاءها الصادقين هم الذين ينصحونها اليوم ، وهم وحدهم الذين هتفوا لها بالأمس .

قلت ذلك للسيد الفاضل رئيس الوزراء ، وقلته من كل قلبي صادقا لأننى أحب الباكستان وأعزها ، وقد وعدنى خيراً . ورجعت من كراتشى فوجدت فى انتظارى بالبريد هذه الرسالة التى ننشرها اليوم لأن مرسلها — وهوعالم فاضل جليل ذو صلة بالباكستان — جعلها أمانة فى عنق فلم أجد سبيلا أريح به ضميرى إلا أن أنشرها كما هى . ويجب أن تعلم الباكستان بذلك أن أمرها أصبح يخص كل مسلم ويشغل باله ، وأن الكلمة الصادقة الصريحة اليوم هى خير مايهدى إليها :

صديقى العزيز الحبيب الأستاذ سعيد رمضان وإخوته وزملاءه الكرام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فإنى أريد أن أتحدث إليكم فى هذا الكتاب عن قضية تهم كل مسلم فى أى بلد كان ، لأنها قضية لها اتصال كبير ببعض مبادئ الإسلام الأساسية وبدولة إسلامية تعقد بها آمال كبار ويخاف أن تستفحل هذه القضية يوماً من الأيام — لو تغافل عنها المسلمون — فتهدد العالم الإسلامى كله ، وتتحدى النظام الإسلامى كله ويغلب المسلمون على أمرهم .

لعلكم قرأتم أو سمعتم إجمالا عن الاضطرابات الأخيرة التى حصلت فى الباكستان والتى شغلت بها البلاد حكومة وشعبا ، وعلمتم أن هذه الحركة أثارتها مسألة القاديانية ، ولعلكم تتعجبون أن المسألة تبلغ من الأهمية والخطر هذا المبلغ ، وتكون الشغل الشاغل للبلاد والمقيم المقعد ، ولكنها مع الأسف كذلك .

إن هذه المسألة قد شغلت الفكر الإسلامى فى الباكستان بحق ، وهى مسألة مقلقة تواجه الكيان الإسلامى ومستقبل الدولة الفتاة ، والذين يعيشون خارج القطر قلما يعرفون خطرها وجلالتها واتصالها بالحياة الإسلامية فى هذا البلد الناهض . إن هذه المسألة ليست رمزاً للطائفية الضيقة أو العصبية الدينية كما صورها المغرضون وكما عرضتها الدعاية ، بل هى فى صميم المصلحة الإسلامية وحياة المسلمين ، وإليكم بعض التفصيل :

قد تحقق علمياً وتاريخياً أن القاديانية وليدة السياسة الإنجليزية ، فقد أهم بريطانيا وأقلقها حركة

المجاهد الشهير السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦ هـ) وكيف ألهب شعلة الجهاد والفداء وبث روح النخوة الإسلامية والحماسة الدينية فى صدور المسلمين فى الربع الأول من القرن التاسع عشر المسيحى ، وكيف التف حوله وحول دعاته آلاف من المسلمين ، وعانت منهم الحكومة الإنجليزية فى الهند مصاعب عظيمة وكانوا موضع اهتمامها ، ورأت السيد محمد أحمد السودانى يقوم فى السودان باسم الجهاد والمهدوية فكاد يقضى على الحكم الإنجليزى فى السودان ، وكانت شرارة دينية حسب لها الإنجليز كل حساب ، ثم رأت دعوة السيد جمال الدين الأفغانى تنتشر فى العالم الإسلامى . كل ذلك رأته الحكومة الإنجليزية ودرسته وعرفت أن طبيعة المسلمين طبيعة دينية ؛ فالدين هو الذى يثيرها ، والدين هو الذى يخدرها ، وأن المسلمين لا يؤتون إلا من قبل العقيدة والإقناع الدينى وما يكون له طابع دينى ، واقتنعت أخيراً بأنه لا يؤثر فى المسلمين وفى اتجاههم مثل ما يؤثر قيام رجل منهم باسم منصب دينى رفيع ويجمع حوله المسلمين ويخدم سياسة الإنجليز ويؤمنهم من جهة المسلمين وغائلتهم . وفى شخص ميرزا غلام أحمد القاديانى الذى كان كاتباً صغيراً فى محكمة « سيالكوت » واشترك فى امتحان وظيفة صغيرة ورسب فيه وعزل عن الوظيفة ، ثم بدأ يناظر القسيسين المسيحيين واسترعى انتباه المسلمين عن هذا الطريق — فى شخص هذا الرجل وجد الإنجليز وكيلا لهم يعمل بين المسلمين لمصلحتهم ، ولم يزل يتدرج من دعوى التجديد إلى المهدوية ومن المهدوية إلى المسيحية ومن المسيحية إلى النبوة حتى تمّ ما أراده الإنجليز ، وقام القاديانى بدوره وبما كلف به خير قيام وحفظ هذه اليد وعرف الفضل للانجليز ، وقد صرح فى بعض كتاباته بأنه غرس غرسته الحكومة الإنجليزية ، وإليكم بعض ما قاله هذا المتنبىء فى مؤلفاته فى هذا الموضوع وما يدين به للحكومة الإنجليزية من الولاء والوفاء وما قام به لها من خدمة مشكورة ، وإليكم ترجمة ذلك حرفيا :

« لقد قضيت معظم عمرى فى تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها ، وقد ألفت فى منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة ، وقد نشرت جميع هذه الكتب فى البلاد العربية ومصر والشام وكابل والروم (كذا) [ترياق القلوب من تأليف غلام أحمد القاديانى ص ١٥] .

ويقول فى محل آخر :

« لقد ظللت منذ سنى الباكر وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلسانى وقلمى لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها ، وأنفى فكرة الجهاد التى يدين بها بعض جهالهم والتى تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة » [ملحق بكتاب « شهادة القرآن » من قلم غلام أحمد القاديانى الطبعة السادسة ص ١٠] .

ويقول فى نفس الكتاب :

« أنا مؤمن بأنه كلما ازداد أتباعى وكثر عددهم قل المؤمنون بالجهاد لأنه يلزم من الإيمان بأنى مسيح أو مهدى إنكار الجهاد » ص ١٧

« لقد ألفت عشرات من الكتب بالعربية والفارسية والأردية بينت فيها أنه لا يحل الجهاد أصلا ضد الحكومة الإنجليزية التى أحسنت إلينا ، بل بالعكس من ذلك يجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة بكل إخلاص ، وقد أنفقت على طبع هذه الكتب أموالا كثيرة وأرسلتها إلى البلاد الإسلامية ، وأنا عارف أن هذه الكتب قد أثرت تأثيراً عظيما فى أهل هذه البلاد (الهند) وقد كون أتباعى جماعة تفيض قلوبهم إخلاصاً لهذه الحكومة والنصح لها . إنهم على جانب عظيم من الإخلاص ، وأنا أعتقد أنهم بركة لهذه البلاد ومخلصون لهذه الحكومة ومتفانون فى خدمتها » [من رسالة مقدمة إلى الحكومة الإنجليزية بقلم ميرزا غلام أحمد القاديانى] :

وقد أمدت هذه الحركة الحكومة الإنجليزية بخير جواسيس خدمة لمصالحها وأصدقاء أوفياء ومتطوعين متحمسين كانوا موضع ثقة الحكومة الإنجليزية ومن خيار رجالها خدموها فى الهند وخارج الهند وبذلوا نفوسهم ودماءهم فى سبيلها ، كعبد اللطيف القاديانى الذى كان فى أفغانستان يدعو إلى القاديانية وينكر الجهاد ، وخافت حكومة أفغانستان أن تقضى دعوته على عاطفة الجهاد وروح الحرية التى يمتاز بها الشعب الأفغانى فقتلته ، وكذلك الملا عبد الحليم والملا نور على القاديانيان عثرت الحكومة الأفغانية عندهما على رسائل ووثائق تدل على أنهما وكيلان للحكومة الإنجليزية ، وأنهما يدبران مؤامرة ضد الحكومة الأفغانية ، وكان جزاؤهما القتل كما صرح بذلك وزير داخلية أفغانستان سنة ١٩٢٥ ونقل ذلك « الفضل » صحيفة القاديانيين الرسمية بسرور وإعجاب فى ٣ مارس من ذلك العام .

ومن أبرز رجال القاديانية سير ظفرالله خان الذى لم يزل يتنقل فى وظائف كبيرة فى عهد الإنجليز ويتمتع بثقة كبيرة منهم وحضر مؤتمرات المائدة المستديرة بلندن بتعيين الحكومة الإنجليزية .

وبقيت الحركة القاديانية فى عهد مؤسسها وبعده معتزلة عن جميع الحركات الوطنية وحركة التحرير والجلاء ، مقتصرة على إثارة المناقشات الدينية والمباحثات حول موت المسيح وحياته ونزوله ونبوة مرزا غلام أحمد ، لا اتصال لها بالحياة العامة والمسائل الإسلامية والحركات التى كانت مظهراً للغيرة الإسلامية والشعور السياسى فى هذه البلاد .

وقد فزع لهذه الفتنة القديانية علماء الإسلام وقادة الفكر فى الهند فحاربوها بأقلامهم وألسنتهم وعلمهم وذلك أقصى ما كان يمكن فى عهد الدولة الإنجليزية التى تبنت هذه الديانة والجماعة ، وكان فى مقدمة هؤلاء المجاهدين المفكر الإسلامى العظيم الدكتور محمد إقبال الذى صرح فى مؤلفاته بأن القاديانية ثورة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومؤامرة ضد الإسلام وديانة مستقلة وأن القاديانيين أمة وحدها ليست جزءاً من الأمة الإسلامية العظيمة .

وبقى القاديانيون مشتغلين بالمناظرات وإثارة الشكوك والشبهات فى المسلمين وفتنهم وخدمة السياسة الإنجليزية . ومركزهم قاديان فى بنجاب فى مديرية « كوردا سبور » لا يحلمون بالحصول على قوة سياسية كبيرة لأنهم لم يساهموا فى سياسة البلاد الحرة وفى الكفاح الوطنى ولأنها قلة قليلة مغمورة بكثرة من المسلمين ولا يطمعون بطبيعة الحال فى دولة يكون لهم فيها الحول والطول والكلمة النافذة حتى تأسست دولة باكستان عام ١٩٤٧ م فكان لهم ذلك من غير أن يريقوا قطرة من دم وكان ذلك عن طريق عجيب وإليكم التفصيل .

انقسمت الهند وتكونت باكستان وفرضت الحكومة الإنجليزية الراحلة عن الهند ، ظفر الله خان على باكستان لأنه الرجل الوحيد الذى يضمن مصالح الإنجليز فى هذا القطر ويربطه بعجلة بريطانيا ، وقد خدع المرحوم محمد على جناح أو بالأصح اضطر إلى أن يقبله كوزير فى حكومة باكستان وأن يقبله كوزير الخارجيه لأنها هى الوزارة التى تهم الحكومة الإنجليزية وحليفاتها وهى التى تقدم وتؤخر فى السياسة وهى التى توجه البلاد كما يشاء الإنجليز وكما تشاء مصالحهم السياسية فكان ظفر الله خان وزير الخارجيه فى دولة يعتقد أن أغلبية سكانها كفار لا يؤمنون بنبوءة غلام أحمد وهو الذى يفرضه عليه دينه وعقيدته ، فقد صرح غلام أحمد وخلفاؤه بأن المسلمين الذين لا يؤمنون بهذا الدين الجديد كفار لا تجوز الصلاة خلفهم وتحرم مناكحتهم ويعاملون معاملة الكفار . يقول مرزا بشير الدين بن غلام أحمد والخليفة الثانى فى كتابه « آئينه صداقت »

« إن كل مسلم لم يدخل فى بيعة المسيح الموعود سواء أسمع به أو لم يسمع كافر وخارج من من دائرة الإسلام (ص ٣٥) وقد صرح أمام المحكمة بذلك وقال :

« إننا نؤمن بنبوءة مزرا غلام أحمد ، وغير الأحمديين (يعني القديانيين) لا يؤمنون بنبوءته ويصرح القرآن بأن كل من ينكر نبوءة أحد من الأنبياء هو كافر فغير الأحمديين كفار (الفضل) .

ويحكى عن غلام أحمد نفسه أنه قال :

« إننا نخالف المسلمين في كل شيء : في الله . في الرسول . في القرآن . في الصلاة . في الصوم . في الحج والزكاة ، وبيننا وبينهم خلاف جوهري في كل ذلك » . (الفضل ٣٠ يولية ١٩٣١ م)

وقد مات الزعيم محمد على جناح ولم يصل عليه ظفر الله خان بحكم هذه العقيدة .

وانتهز ظفر الله خان فرصة سلطته بكل حزم فشحن الوزارة الخارجية والمفوضيات في عواصم العالم بالقديانيين ودسهم في مصالح الحكومة الأخرى وسلطهم على رقاب الموظفين المسلمين يتحكمون فيهم كما يشاءون ويستغلون وظائفهم لنشر ديانتهم ، والذي لا يقبل يستهدف للاهمال والظلم .

وكان أشد من ذلك وأعظم خطراً أن القديانيين تسربوا في صفوف الجيوش الباكستانية واحتلوا مناصب خطيرة في الجيش وفي البوليس وفي مصلحة الطيران وكونوا فيها أكثرية ساحقة بحيث يستطيعون أن يحدثوا ثورة في مصلحتهم ويقبضوا على زمام الحكم متى شاءوا .

وقد كونوا إمارة حرة في بنجاب تسمى « الربوة »[1] وهي مستعمرة قاديانية لا توظف فيها الحكومة غير قادياني أبداً حتى على محطة ربوة ، ويمكن أن تشبه الربوة في باكستان بإسرائيل في فلسطين وكلاهما جاثم على صدر المسلمين وقائم منهم بالمرصاد .

كل ذلك أفزع المفكرين المسلمين في باكستان ورأوا فيه الخطر المحقق على باكستان وسيفاً مصلتاً على رقبتها ووكالة بريطانية في صميم البلاد وسوساً ينخر الصرح الإسلامي ومعارضة لقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » ورأوا كذلك وآمنوا بأن باكستان لا يمكن أن تكون دولة حرة في سياستها وتصرفاتها وفي تنفيذ ما تقتضيه مصالحها السياسية وطبيعتها الإسلامية إلا إذا تحررت في سياستها الخارجية وتخلصت من هذه الوزارة التي فرضت عليها فرضاً وقد كان المرحوم لياقت على خان قد بدأ يشعر في آخر حياته بهذا الخطر وكان غير مرتاح لهذا الوضع وقد كان هذا الشعور من أسباب اغتياله كما يقول المطلعون .

كل ذلك حمل الجماعات الإسلامية والأحزاب المختلفة والشخصيات الدينية على الاهتمام بهذه المسألة ، فاجتمع منهم ثلاث وثلاثون ممثلا من رؤساء الجمعيات والجماعات الدينية وكبار العلماء في باكستان في يناير عام ١٩٥٣ م في كراجي فطلبوا من الحكومة أن تجعل القاديانيين أقلية غير مسلمة لها حقوقها وأن تخصص لهم ما يستحقون حسب عددهم من المقاعد في البرلمان الباكستاني والمجالس التشريعية في المقاطعات وما يستحقون من الوظائف في مختلف المصالح والإدارات حتى لا يستولوا على أداة الحكومة والجهاز الإداري في باكستان ، ولا يضايقوا المسلمين في دولتهم التي أسسوها بدمائهم وأشلائهم .

وكانت المطالبة عادلة معقولة لا تقبل الجدال ، فإذا كان للقديانيين حق في أن يكفروا جمهور

---

(١) ليطبقوا عليها قول الله تعالى « وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » وهذا هو المنطق القادياني المعروف .

المسلمين وكل من لا يؤمن بنبوءة رجلهم فلماذا لا يسمح للمسلمين بأن يطالبوا بجعل القاديانيين أقلية غير مسلمة وهم الذين اتفق علماء المسلمين على كفرهم وهم الذين أقاموا بينهم وبين عامة المسلمين سداً من نبوة جديدة وأصبحوا أمة مستقلة ذات نبوة جديدة وإمامة جديدة ونظام جديد ، كذلك أجمع على هذه المطالبة جميع الأحزاب الإسلامية والفرق الدينية والجمعيات والمنظمات المسلمة فى باكستان .

وتغافلت الحكومة عن هذه المطالبة العادلة ولم تعرها شيئاً من العناية فاضطر قادة الفكر إلى حركة عامة ، تبدى السخط العام وتقنع الحكومة بتغلغل هذه الفكرة والرغبة فى طبقات الجمهور وتولت الجماعات الإسلامية كجمعية علماء باكستان وجمعية الأحرار والجماعة الإسلامية قيادة هذه الحركة وحصرها فى طرق مشروعة ليس فيها اعتداء على أحد حتى القاديانيين ولا تعطيل لإدارة الحكومة أو إلحاق ضرر بباكستان ، واعتقلت الحكومة قادة الحركة فبدأت عصائب تخرج وتطالب بجعل القاديانيين أقلية غير مسلمة وكانت الحكومة تعتقل هذه العصائب وكانت حركة شعبية هائلة لم تشهد البلاد مثلها منذ زمن بعيد وقد تمسك رجالها والمساهمون فيها بمبدأ عدم العنف إلى حد بعيد حتى استعملت الحكومة العنف والقسوة فثار ثائر الجمهور وأفلت الزمام من أيدى القادة فى بعض الأحيان وفى بعض الأمكنة ، وقد أنكر عقلاؤهم الاعتداء على الأموال والنفوس ودعوا إلى التمسك بالنظام وأعلنوا براءتهم من كل ما ينافى النظام وكل ما يشوه سمعة الإسلام .

وأفرغت الحكومة جعبتها لقمع هذه الحركة التى سمتها الثورة على باكستان ومحاولة قلب النظام رأساً على عقب وما هى بثورة إنما هى مطالبة شعب هادئ وفى لحكومته مخلص متفان فى خدمتها والدفاع عنها وطلبت الحكومة الجيوش وأقنعتها بأنها ثورة من أعداء باكستان فركبت رأسها فى قمع ما تسميه الثوره وزجت مئات من العلماء ورجال الدين فى السجون حتى لا يسمع الإنسان بعالم نبيه له خطر إلا وهو فى السجن ، واختلط الحابل بالنابل وبقيت بلاد بنجاب وهى مركز الحركة تحت رحمة الجنود تعامل من تشاء كما تشاء ، وكان للاهور النصيب الأكبر من هذه المحنة وقد دام الحكم العسكرى فيها أكثر من شهرين ، وذكر بعهد الحجاج بن يوسف وعبيد الله بن زياد وعهد محاكم التفتيش فى أوروبا فى القرون الوسطى ، ووقع خلال هذه المدة من حوادث الفتك والبطش والقسوة والعبث بالقانون ما يتخطى القياس فى هذا العصر المتمدن فى دولة تنتسب إلى الإسلام بل تتزعم الدول الإسلامية والعالم الإسلامى .

وحاكمت حكومة باكستان زعماء الحركة محاكمة عسكرية وحكم على بعضهم بالإعدام وكان منهم السيد أبو الأعلى المودودى أمير الجماعة الإسلامية فى باكستان فصدر عليه الحكم بالإعدام فى المحكمة العسكرية فى لاهور ثم أبدل ذلك الحكم من غد بسجن أربعة عشر عاماً سجناً شاقا وكانت جريمته أنه ألف رسالة باسم « مسألة القاديانية » ذكر فيها موقف القايانية من الإسلام والمسلمين وذكر موجبات جعل القاديانيين أقلية غير مسلمة فى باكستان ، وانتشرت هذه الرسالة انتشاراً كبيراً فى الجمهور ، وحكم على زملائه وقادة الجماعة بعقوبات شاقة طويلة .

هذه هى حقائق عن الحركة الجديدة فى باكستان أراها أمانة فى عنقى ويفرض على ضميرى وعقيدتى أن أدلى بها إليكم وهى الآن فى ذمتكم وفى ذمة التاريخ ، وقد أديت واجبى وأرحت ضميرى واعتذرت إلى الله .

أخبار متفرقة

● صرح فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بعد مقابلته للرئيس اللواء محمد نجيب بأن مؤتمر العالم الإسلامى سينعقد فى القاهرة فى يناير القادم بدل شهر أكتوبر ، لأن الأزهر يكون حينئذ مشغولا بافتتاح العام الدراسى الجديد .

● أذيع أن قيمة المساعدات التى تعتزم أمريكا تقديمها إلى الشرق الأوسط تبلغ ١٤٠ مليون دولار ، ستوزع خلال السنة المقبلة بين الدول العربية وإسرائيل .

● احتج ستة من أعضاء مجلس كينيا التشريعى غير الرسميين على قيام اتحاد فدرالى بين مناطق أفريقيا الشرقية وأفريقيا الوسطى ، وذكر الأعضاء فى بيانهم أنهم يعارضون فى فكرة الاتحاد قبل إتاحة المساواة والفرصة لجميع الأفريقيين بحيث يتمكنوا من القيام بدورهم كاملا فى نقد أو تصويب المقترحات الجديدة .

● بات معظم يهود القدس البالغ عددهم مائة وعشرين ألف نسمة فى حالة لا تمكن أحداً منهم من الزواج أو الطلاق أو دفن موتاه بسبب إضراب حاخامات موظفى المجلس الدينى اليهودى . ويرجع إضرابهم إلى عدم دفع مرتباتهم فى الشهور الثلاثة الأخيرة .

● أقام سعادة السيد عبد الهادى خان داوى سفير أفغانستان فى مصر حفلة استقبال فى دار السفارة الأفغانية بالقاهرة لمناسبة مرور ٣٥ سنة على فوز أفغانستان بالاستقلال .

ومما يذكر أن أفغانستان كانت تحت الحماية البريطانية ، ولم تفز باستقلالها إلا بعد محاربة بريطانيا وإرغامها على الجلاء .

● ذكرت مصادر موثوق بها أن سلطان مراكش سيدى محمد بن يوسف ألغى رحلته المزمعة إلى فرنسا . وكان معتزما أن يقضى فيها فترة للعلاج ، وربما كان فى نيته استئناف المفاوضات بشأن البرنامج الخاص بالإصلاحات الداخلية فى البلاد .

ويعتقد المسئولون أن السلطان غير رأيه بعد البيانات الرسمية التى أذيعت أخيراً فى باريس من أنه يجب أن يتولى الجنرال جيوم المقيم الفرنسى العام المفاوضات الخاصة بطلب مراكش التمتع باستقلال أوسع نطاقا .

● علمت جريدة الاتحاد التى تصدر فى الخرطوم أن الدوائر الرسمية فى السودان تدرس فكرة إرسال فرقة من جنود قوة دفاع السودان للمساهمة فى مقاومة حركة « الماو ماو » بكينيا . وقد اهتمت الدوائر الوطنية فى السودان بهذا النبأ ولم يصدر تعليق رسمى بعد .

● تقرر أن تبحر إلى الحجاز بعثة طبية شكلتها حكومة الباكستان لتقديم الخدمات الطبية فى موسم الحج القادم . وتتكون هذه البعثة من ثلاثة من الأطباء وثلاث فرق للتمريض وكميات كبيرة من الأدوية . وستصطحب هذه البعثة معها مستشفى متنقلا كامل المعدات .

● كتب الرئيس إيزنهاور رسالة إلى الدكتور مصدق قال فيها إن أمريكا لن تقدم عونا اقتصاديا إلى إيران إلى أن تسوى مشكلة البترول مع البريطانيين .

وجاء فى تلك الرسالة كما تقول المصادر الإيرانية ، أن الولايات المتحدة الأمريكية انزعجت للحرية التى منحت لحزب توده ليعمل كما يشاء فى إيران .

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد التاسع

مطابع دار الكتاب العربى بمصر